المجلة الغمارية

المعرفة رأس الحكمة



العدد 20

محرم 1434

مجلة دورية تصدر عن واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

المحتويات

من وحي القرآن الكريم

بدع التفاسير (الجزء الرابع)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين، أما بعد،،،

قال سيدي ومولاي عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله تعالى في كتابه (بدع التفاسير): "هذا مؤلف عجيب، ليس له في بابه ضريب، تضمن التنبيه على بعض التفاسير المخطئة، وقد تكون أحيانًا خاطئة[1]، يجب اجتنابها في فهم كلام الله تعالى، والبعد به عن أن تكون من جملة معانيه، لنبو لفظه عنها، أو مخالفتها لما تقتضيه القواعد المأخوذة من الكتاب والسنة، أو نحو ذلك، وسميته (بدع التفاسير)، وهي عبارة الزمخشري في (كشافه)، يقولها حين يحكي بعض تلك التفاسير، وإن كان هو نفسه قد وقع في بعضها بسبب عقيدته الاعتزالية التي كان صلبًا فيها، متمسكًا بها حد التعصب والاعتساف، جريئًا في القول بمقتضاها، حتى صدرت عنه عبارات غير لائقة[2]، أو بسبب غلطة في الإعراب، أو مخالفته لسبب النزول، ولم أقصد بهذا المؤلف استيعاب التفاسير المخطئة والخاطئة، فإن ذلك غير متيسر لي الآن، وإنما قصدت ذكر مثُل تكون نموذجًا لما لم يذكر، وعنوانًا عليه".

من بدع التفاسير الواردة في (سورة البقرة)

قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾:

قوله تعالى:(واتبعوا) أي اليهود. والمعنى: نبذوا كتاب الله واتبعوا (ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) أي على عهد ملكه وفي زمانه، وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع، ويَضُمُّون إلى ما سمعوا أكاذيب يُلَفِقُونَها ثم يلقونها إلى الكهنة، وقد دوَّنوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس، وقد فشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام، حتى قالوا أن الجن تعلم الغيب.

[1] أي آثمة، والمراد أصحابها، أي أنهم آثمون. قال تعالى: ﴿ إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾، وفي الحديث: ﴿لا يحتكر إلا خاطئ﴾، وأغلب كُتَّاب مصر وأدبائها يستعملون لفظ "خاطئ" بمعنى "مخطئ" فيقولون: أفكار خاطئة يقصدون مخطئة. وهذا من جملة الأغلاط التي ذل بها لسانهم ومرت عليها أقلامهم.

[2] وسماه العلامة الفقيه أحمد بن حجر الهيثمي في مبحث التكذيب بالقدر من (الزواجر): "حامل راية المعتزلة إلى النار"، وما يقال عن توبته من الاعتزال ورجوعه عنه غير صحيح.

وكانوا يقولون: هذا علم سليمان، وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم، فاتَّبعوا كتب السحر، ورفضوا كتب أنبيائهم، (وما كفر سليمان) بعمل السحر. تكذيب للشياطين واليهود، وتبرئة لسليمان مما رموه (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه. حال كونهم (يعلمون الناس السحر) يقصدون به إغوائهم وإضلالهم. (و) يعلمونهم (ما) أي السحر الذي (أنزل على الملكين) الكائنين (ببابل) بلد العراق، وهذا البلد كانا أكثر البلاد استعمالا للسحر، وأكثرها ترويجا له، فبعث الله تبارك وتعالى موسى إلى أهل مصر، أبطل سحرهم بعصاه، حتى صار من الأمثال السائرة، قول الشاعر:

إذا جـــاء موســـى وألقـــى العصـــا فقـــد بطـــل الســـحر والســـاحر

وبعث في بابل (هاروت وماروت) يعلمان الناس السحر، ليعلموا الفرق بينه وبين المعجزة، وليعلموا أن الساحر صنو الشيطان، وأن النبي مؤيد من الرحمن ويؤخذ منه أن تعلم السحر لمثل هذه المصلحة جائز (وما يعلمان من أحد حتى) ينصحاه، و(يقولا إنما نحن فتنة) ابتلاء من الله تعالى وامتحان (فلا تكفر) فلا تتعلمه معتقداً أنه حق فتكفر (فيتعلمون منهما) فيتعلم الناس من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أي علم السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين من حلية وتمويه، كالنفث في العقد ونحوه، مما يحدث الله عنده الفرك[1] والنشوز والخلاف (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) بإرادته. هذا تفسير هذه الآية تفسيرًا يلائم سياقها ويقتضيه نظمها من غير تكلف. وقيل فيها: وجوه من التأويل من بدع التفاسير، ونحن ننبه عليها بحول الله تعالى.

فقيل: في (ما أنزل) إنه في محل جر، معطوف على (ملك سليمان) والمعنى: واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين – وهما جبريل وميكائيل- ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت. وهما رجلان لا ملكان، ذكرا بعد الناس تبييناً وتمييزاً لهما. وهذا التأويل فساده ظاهر. لأن فيه تفكيكاً لنظم الآية، وتعقيداً لمعناها وإلحاقا لها بالألغاز والمعميات. وقيل: يجوز أن يكون هاروت وماروت بدلا من الشياطين، والمعنى: ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا، وهذا فاسد كسابقه.

وقيل: إن "ما" في قوله تعالى: (وما يعلمان) نافية والمعنى: إنهما لا يعلمان أحدا، بل ينهيان عنه. ويبلغ من نهيهما بصدهما عنه أن يقولا (إنما نحن فتنة فلا تكفر) باستعمال السهم. وهذا باطل أيضاً، لأن (حتى يقولا) تقتضي أنهما يعلمان بعد تحديده ونصحه، فهي غاية لامتناع التعليم.

[1]- البغض: يقال فركت المرأة زوجها أي أبغضته.

وإذا كانا لا يعلمانه أصلا، فلم كانا فتنة؟! وهل يعقل أن يكون مجرد وجودهما فتنة؟!

وقيل- تفريعا على هذا التأويل الباطل-: (فيتعلمون منهما) أي من الكفر والسحر المفهومين مما سبق (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) وهذا واضح البطلان، لا يحتاج إلى بيان. وكيف يتعلم الإنسان من الكفر أن يفرق بين المرء وزوجه؟!!.

قيل أيضا: ويجوز أن يكون معنى (فيتعلمون منهما) فيتعلمون بدلا مما علمهم الملكان، أي يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان في النهي عن السحر إلى تعلمه. ويكفي في رد هذا التأويل ما فيه من التكلف الزائد.

على أن (من) تكون بمعنى: بدل، إذا وقعت بين شيئين تصح فيهما المعاوضة نحو (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) فالحياة الدنيا والآخرة، يصح التبادل والتعاوض بينهما. ولكن لا يصح التبادل بين الملكين وعلم السحر. ثم يجب أن يكون الفعل مؤذنا بمعنى البدلية، مثل فعل "رضيتم" فإنه يؤذن بأنهم رضوا بشيء بدلا عن آخر. لكن فعل" يتعلمون" لا يؤذن بذلك.

وقيل: يجوز أن يكون قوله (وما يعلمان من أحد حتى يقولا) راجعا إلى هاروت وماروت، على أنهما من الشياطين كما مر، أو رجلان كما مر أيضا، ومعنى قولهما (إنما نحن فتنة فلا تكفر) يكون على سبيل الاستهزاء كما يقول الماجن من الناس إذا فعل قبيحا: هذا فعل من لا يفلح، لا يقصد النصح، لكن على وجه المجون والاستهزاء، ويرده أن هاروت وماروت ملكان، لا يجوز في حقهما الاستهزاء، والقول بأنهما شيطانان ساقط، لا دليل عليه، ومن قال رجلان استند إلى قراءة (الملكين) بكسر اللام، وهي قراءة شاذة، وهي هنا مردودة، لأن القراءة المتواترة تعارضها. وقيل : - تفريعاً على جعل (وما أنزل على الملكين) للنفي:- يكون للضمير في قوله (وما يعلمان من أحد) يعود على قبيلتين من الجن، أو إلى شياطين الجن والإنس وفيه تشتيت الكلام، وعود الضمائر على ما لم يذكر. وقيل : معنى (ما يفرقون به من المرء و زوجه) إنهم يغوون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى، فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المقيم على دينه. فيفرق بينهما اختلاف الملة. وهذا باطل لوجهين:

أحدهما: أن الملكين لم يكونا يعلمان كيفية إغواء الناس وحملهم على الشرك. وإنما كانا يعلمان السحر، ليفرق بينه وبين المعجزة، ولعرف شره فيُتقى.

ثانيهما: أن التفريق بين الزوجين لاختلاف الدين لم يثبتانه كان معمولاً به في بابل حين كانا يعلمان السحر.

وقيل: معناه: يسعون بين الزوجين بالنميمة والوشاية، حتى يؤول أمرهما إلى الفرقة. وهذا باطل أيضاً، لأن الملكين لا يعلما النميمة والوشاية، ولا جاء ما يدل على ذلك. على أن النميمة ليست علماً له قواعد، كعلم السحر.

وقيل: كلمة "لا" زائدة، والمعنى وما هم بضارين من أحد بإذن الله وهذا باطل بوجهين:

أحدهما: أن دعوى زيادة كلمة في القرآن، تخريج له من وجه ضعيف وهو لا يجوز.

ثانيهما: أن المعنى على إثباتها لأن مما علم بالضرورة والمشاهدة أن المسحور قد يحصل له ضرر في جسمه أو عقله، فأخبرت الآية أن ما يحصل من ذلك الضرر، لا يكون إلا بإذن الله تعالى.

وقيل: في (وما هم بضارين من أحد): أن يكون الضرر هو ما يلحق المسحور من الأدوية والأغذية، التي يطعمه إياها السحرة، ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور. وهذا ليس بشيء، لأن السحرة لا يطعمون المسحور أدوية وغيرها. وإنما يعملون عملهم من نفث في العقد ونحوه، فيحصل الضرر بإذن الله تعالى. وربما لا يحصل ضرر إذا كان المسحور قوي الروح، أو يتحصن بسورتي المعوذتين، ونحوهما.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

سياسة المفاوضات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

فبعد أن قام مشركو قريش بإظهار الإيذاء والمعاداة الكاملة لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأخيار، انتقلوا إلى مرحلة جديدة من العمل على هدم الدعوة الإسلامية، فعملوا بسياسة المفاوضات ظناً منهم أن هذه الدعوة وصاحبها جاء لنيل الزعامة أو الغنى أو ما إلى سوى ذلك من ملذات الدنيا، ولكن هيهات هيهات، لأن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسول يُوحَى إليه، وكما قال لعمه أبي طالب: والله يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الدين ما تركته إلا أن يظهره الله أو أهلك دونه، وهذا منهج أسيادنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبله وسنة خلفائه الراشدين رضوان الله تعالى عليهم من بعده.

جاء في ما يرويه ابن هشام عن ابن إسحاق أن عتبة بن ربيعة – وكان سيداً ذا بصيرة ورأي في قومه– قال في نادي قريش: "يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم.. فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. فقال له سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قل يا أبا الوليد، أسمع». قال يا ابن أخي: إن كنت أنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه. فقال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال نعم. قال: «فاسمع مني». ثم قال: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم، حم، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ، وَقَالُوا

قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ ، قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾(فصلت 1-6)، ثم مضى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في القراءة وعتبة يسمع حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ ﴾(فصلت: 13) فأمسك عتبة بفيه وناشده الرحم أن يكف عن القراءة، وذلك خوفاً مما تضمنته الآية من تهديد، ثم عاد عتبة إلى أصحابه فلما جلس بينهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش: أطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه من ملككم وعزه عزكم. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم. وروى الطبري وابن كثير وغيرهما أن نفراً من المشركين فيهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل جاؤوا فعرضوا على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعطوه من المال حتى يكون أغناهم وأن يزوجوه أجمل أبكارهم على أن يترك شتم آلهتهم وتسفيه عاداتهم، وقالوا: تعبد آلهتنا يوماً ونعبد إلهك يوماً، فرفض ذلك أيضاً ونزل تعليقاً على ذلك قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قُلْ يا أَيُّها الْكافِرُونَ ، لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ ، وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ ، وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ ، وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾(الكافرون)، ثم إن أشراف قريش عادوا فكرروا المحاولة التي قام بها ربيعة فذهبوا إليه مجتمعين، وعرضوا عليه الزعامة والمال، وعرضوا عليه الطب إن كان هذا الذي يأتيه رئياً من الجان. فقال لهم سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ ما بي تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ﴾. فقالوا له: "فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً ولا أقل ماء ولا أشد عيشاً منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسيّر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليفجر لنا أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن بعث لنا منهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل وليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة

يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإن صنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول"، فقال لهم: ﴿ ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ﴾.

ثم إنهم قالوا له – بعد طول كلام وخصام-:"إنا قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل في اليمامة يقال له: الرحمن وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلك أو تهلكنا. ثم قاموا وانصرفوا عنه"

العبر والعظات:

في هذا المشهد الذي عرضناه من سيرته صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث دلالات، كل واحدة منها على جانب كبير من الأهمية.

الدلالة الأولى: وهي توضح لنا في تمحيص دقيق حقيقة الدعوة التي قام بها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتفصلها عن كل ما قد يلتبس من الأهداف والأغراض التي قد يضمرها في أنفسهم عادة أرباب الدعوات الجديدة والمنادون بالثورة والإصلاح. هل سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضمر من وراء دعوته الوصول إلى مُلك؟ أو لعله يضمر الوصول إلى مستوى رفيع من الزعامة والغنى، أو لعل الأمر لا يعدو خيالات تتراءى له بسبب مرض يعانيه؟ كل هذه الاحتمالات قد يتذرع بها محترفو الغزو الفكري وأعداء هذا الدين، ولكن يا لأسرار الحياة العظيمة التي هيأها رب العالمين لرسوله! لقد ملأ الله عز وجل حياة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالمواقف والمشاهد التي تقطع دابر كل احتمال، وتقطع السبيل إلى كل وسواس، وتدع أرباب الغزو الفكري حيارى في الطريق التي ينبغي لهم أن يسلكوها في حربهم الفكرية. كان من جليل حكمة الله عز وجل أن يقوم مشركو قريش بسلسلة من المفاوضات مع سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن صوروا في أنفسهم كل هذه الاحتمالات، وهم أدرى الناس بطبيعة دعوته والغاية البعيدة من رسالته وبأنه لن ينزل عند شيء من مغرياتهم. ولكن هكذا شاءت الإرادة الإلهية حتى ينطق التاريخ بتكذيب كل من سيأتي من محترفي التشكيك والغزو الفكري مع الزمن. لقد فكر أمثال كريمر وفان فلوتن طويلاً، ثم لم يجدوا من سبيل لأداء مهمة التشكيك والغزو إلا أن يغمضوا أعينهم عن الحقيقة ويزعموا أن دوافع سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته كانت الرغبة في السيادة والملك، وصدموا رؤوسهم في هذا الزعم بصخور عاتية تقذفهم وتردهم إلى الوراء أشواطاً. لقد سخر الله سبحانه وتعالى من قبلهم عُتبة بن ربيعة وأمثاله لحمل هذه الدوافع والآمال ووضعها بين يدي سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لينالها قريبة سائغة وليبصر قريش كلها وقد دانت له وألقت من يدها ما رفعته من السلاح ووسائل التعذيب في وجه سيدنا

ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجه أصحابه، فلماذا لم يَلِن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم، ولم يتحول إلى هذه الغنيمة التي سيقت إليه ما دام أنها الدافع له من وراء رسالته ودعوته. وهل ينصت طالب الملك والزعامة لمن سعى يعرضها عليه، في مفاوضة طويلة وتخويف ورجاء وتهديد، ليقول لهم أخيراً : ﴿ ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم والملك عليكم. ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به، فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردّوه عليّ، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم؟! ﴾. ثم إن معيشته الحياتية كانت مطابقة لكلامه هذا، فهو لم يعرض عن الزعامة والملك بلسانه، ليصل إليها خلسة بسعيه وعمله. بل كان سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسيطاً في مأكله ومشربه، لا يعلو عما عليه حال الفقراء والمساكين. قالت السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها فيما يرويه الإمام البخاري: "لقد توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما في رفّي من شيء يأكله ذو كبد إلا شَطْرُ شعيرٍ في رَفٍّ لي فأكلتُ منه حتى طالَ عليّ". ويقول سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه فيما يرويه الإمام البخاري أيضاً: ﴿لم يأكل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على خوان حتى مات وما أكل خبزاً مرققاً حتى مات ﴾. وكان بسيطاً للغاية في ملبسه وأثاث بيته، يؤثر في جنبه الحصير وما عرف أنه نام قط على شيء وثير. حتى أن نساءه جئن إليه يوماً وفيهن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها يشتكين إليه الفاقة ويطالبنه بمزيد من النفقة لزينتهن ولباسهن حتى لا تكون إحداهن أقل شأناً من مثيلاتها من نساء الصحابة، فأطرق مغضباً ولم يجب ثم نزل قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ، وَإِنْ كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(الأحزاب: 29-28)، فتلى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهن هاتين الآيتين، ثم خيرهن بين قبول العيش معه على تلك الحالة التي هو فيها، أو الإصرار على مطالبهن من النفقة وزيادة الزينة والمال وحينئذ يفارقهن ويسرحهن سراحاً جميلاً، فاخترن العيش معه على ما هو عليه. فكيف يشك العقل – أيُّ عقل– بعد هذا كله، في صدق نبوته، وكيف يصح أن يتوهم الفكر أو الخيال بأنه قد يكون مدفوعاً برغبة الزعامة أو الطمع في الغنى؟ فهذه هي الدلالة الأولى التي تؤخذ من هذا المشهد الذي ذكرناه.

الدلالة الثانية: وهي تبين لنا معنى الحكمة التي كان سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمسك ويتصف بها. هل الحكمة أن تضع أنت السياسة التي تراها في سير الدعوة مهما كانت كيفيتها ومهما كانت نوعها؟ وهل أعطاك الشارع صلاحية أن تسلك أي سبيل أو وسيلة تراها ما دام هدفك من

وراء ذلك الحق؟ لا، إن الشريعة الإسلامية تعبدتنا بالوسائل كما تعبدتنا بالغايات. فليس لك أن تسلك إلى الغاية التي شرعها الله تعالى لك إلا الطريق المعينة التي جعلها الله تعالى وسيلة إليها. وللحكمة والسياسة الشرعية معان معتبرة، ولكن في حدود هذه الوسائل المشروعة فقط. والدليل ما رويناه آنفاً، فقد كان من المتصور في باب الحكمة والسياسة أن يرضى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معهم بالزعامة أو الملك على أن يجمع في نفسه اتخاذ الملك والزعامة وسيلة إلى تحقيق دعوة الإسلام فيما بعد، خصوصاً وإن للسلطان والملك وازعاً قوياً في النفوس، وحسبك أن أرباب الدعوات والمذاهب ينتهزون فرصة الاستيلاء على الحكم كي يستعينوا بسلطانه على فرض دعوتهم ومذاهبهم على الناس. ولكن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يرضَ سلوك هذه السياسة والوسيلة إلى دعوته، لأن ذلك ينافي مبادئ الدعوة نفسها. فلو جاز أن يكون مثل هذا الأسلوب نوعاً من أنواع الحكمة والسياسة الرشيدة، لا نمحي الفرق بين الصادق الصريح في صدقه والكاذب الذي يخادع في كذبه، ولتلاقي الصادقون في دعوتهم مع الدجالين والمشعوذين، على طريق واحدة اسمها: الحكمة والسياسة. إن فلسفة هذا الدين تقوم على عماد الشرف والصدق في كل من الوسيلة والغاية. فكما أن الغاية لا يقوّمها إلا الصدق والشرف وكلمة الحق، فكذلك الوسيلة لا ينبغي أن يخطّها إلا مبدأ الصدق والشرف وكلمة الحق. ومن يحتاج أرباب الدعوة الإسلامية في معظم حالاتهم وظروفهم إلى التضحية والجهاد، لأن السبيل التي يسلكونها لا تسمح لهم بالتعرج كثيراً ذات اليمين وذات الشمال. ومن الخطأ أن تحسب مبدأ الحكمة في الدعوة إنما شرع من أجل تسهيل عمل الداعي أو من أجل تفادي المآسي والأتعاب، بل السر في مشروعية الحكمة في الدعوة إنما هو سلوك أقرب الوسائل إلى عقول الناس وأفكارهم. ومعنى هذا أنه إذا اختلفت الأحوال وقامت عثرات الصدّ والعناد دون سبيل الدعوة، فإن الحكمة حينئذ إنما هي إعداد العدة للجهاد والتضحية بالنفس والمال، إن الحكمة إنما هي أن تضع الشيء في مكانه. وهذا بين الحكمة والمخادعة، وبين الحكمة والمسالمة. وأنت خبير أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما استبشر بما رآه مرة من دلائل إقبال بعض زعماء قريش على فهم الدين، انصرف إليهم بكليته مبتهجاً يكلمهم ويشرح لهم ما يستفسرون عنه من حقائق الإسلام، حتى دعاه ذلك الاستبشار والسعي في هدايتهم إلى أن يعرض عن الصحابي الجليل سيدنا عبدالله بن أم مكتوم رضي الله تعالى عنه حينما مر بهم فوقف إلى جانبهم يستمع، وأخذ هو الآخر يسأل سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان ذلك منه صلى الله عليه وآله وسلم حرصاً على الفرصة أن لا تفوته وأملاً في أن يجيب سيدنا عبدالله بن أم مكتوم رضي الله تعالى عنه في وقت آخر. فعاتبه الله

تبارك وتعالى على ذلك في سورة: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾(عبس: 1-2) وأنكر عليه اجتهاده هذا، وأن كانت غايته مشروعة ونبيلة، ذلك لأن الوسيلة انطوت على كسر خاطر مسلم أو ما يدل على الإعراض عنه وعدم الالتفات إليه من أجل اجتذاب قلوب المشركين. فهي ليست بمشروعة ولا مقبولة. والخلاصة: أنه ليس لأحد من الناس أن يغير من أحكام الإسلام ومبادئه، أو يتجاوز شيئاً من حدوده أو يستهين بها، باسم اتباع الحكمة في النصيحة والدعوة، لأن الحكمة لا تعتبر حكمة إلا إذا كانت مقيدة ومنضبطة ضمن حدود الشريعة ومبادئها وأخلاقها.

الدلالة الثالثة: ونستفيدها من موقف سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تلك المطالب التي طلبتها قريش منه صلى الله عليه وآله وسلم شرطاً لاتباعها له. وهو موقف أيده الله تبارك وتعالى فيه، ففيه – كما ذكر عامة المفسرين– نزل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾(الإسراء90-93). وليس السبب في عدم استجابة الله لهم ذلك، ما قد يظنه البعض من أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أوتي من المعجزات إلا معجزة القرآن، ولذلك لم تستجب لهم مطالبهم، وإنما السبب أن الله عز وجل علم أنهم إنما يطالبون بذلك كفراً وعناداً وإمعاناً في الاستهزاء بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما هو واضح في أسلوب طلبهم ونوع المطالب التي عرضوها. ولو علم الله عز وجل فيهم صدق الطلب وحسن النية وأنهم مقبلون في ذلك على محاولة التأكد من صدق سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لحقق لهم ذلك. ولكن أمر قريش في ذلك مطابق لما وصفه الله تعالى في آية أخرى وهي قوله: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾(الحجر: 14-15)، وإذا علمت ذلك، أدركت أنه لا تنافي بين هذا وما ثبت من إكرام الله تعالى لنبيه سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزات الكثيرة المختلفة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

من ينابيع حكمة الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام-

في التوحيد والانتفاع بالموعظة وصفة الجنة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد،،،

قال إمام التوحيد ومصباح التفريد، إمام العارفين علي بن أبي طالب عليه السلام في إحدى خطبه:

"أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ، لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، وَلَا تَعْقُدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ[1]، وَلَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ.

فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالآيِ السَّوَاطِعِ[2]، وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ[3]، وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ، فَكَأَنْ قَدِ عَلَّقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الْأُمْنِيَّةِ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ[4] وَالسِّيَاقَةِ إِلَى الْوِرْدِ الْمَوْرُودِ[5] وَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ؛ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

صِفَةُ الْجَنَّةِ: دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا[6]".

فَقَدِ افْتَتَحَ الإِمَامُ – عَلَيْهِ السَّلامُ- خُطْبَتَهُ بِكَلِمَاتٍ جَلِيلَةٍ فِيهَا تَوْحِيدٌ للهِ تَعَالَى وَتَنْزِيهُ لِذَاتِهِ العَلِيَةِ وَهُوَ مُتَّفِقٌ تَمَامَ الاتِّفَاقِ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم ﴾ (الحديد: 3)، وَنَفَى أَنْ يَعْلَمَ أَحَدُ مِنَ الخَلْقِ ذَاتَ اللهِ تَعَالَى بِالمطْلَقِ وَأَنَّهُ تَعَالَى لَيْسَ مُتَرَكِبٌ مِنَ أَجْزَاءٍ تَتَّصِلُ وَتَنْفَصِل، وَقَدْ قَرَّرَ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾(الإخلاص:1) وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا تَرَاهُ العُيُونُ لِقَوْلِهِ تَعَالضى: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾(الأنعام: 103)

---

[1] – أي أن العقل لا يستطيع أن يدرك كيفية الله سبحانه وتعالى.

[2] – الآي: جمع آية وهي الدليل، والسواطع: أي الظاهرة الدلالة.

[3] – البوالغ: جمع البالغة وهو غاية البيان لكشف عواقب التفريط، والنذر: جمع نذير بمعنى الإنذار أو المخوف والمراد إنذار المنذرين.

[4] – المفظعات: من أفظع الأمر إذا اشتد، ويقال: أفظع الرجل للمجهول إذا نزلت به الشدة.

[5] – الوِرْد: الأصل فيه الماء يورد للري، والمراد به الموت أو المحشر.

[6] – لا ييأس ساكنها: أي لا يحتاج إلى شئ.

ثُمَّ أَمَرَ – عليهِ السَّلام- أَتْبَاعَهُ بالتَّعلُّمِ مِنَ العِظَاتِ والاسْتِفَادَةِ مِنَ الآيَاتِ؛ إِذْ قَدْ اقْتَرَبَ الموتُ مِنَ النَّاسِ وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ وَقْتَهَا مَا تَمنُوهُ مِنَ الأَمَانِي، وَجَاءَ يَوْمُ الحِسَابِ فَكُلُّ شَخْصٍ عَمَلُهُ يَشْهَدُ إِمَّا لَهُ إِنْ كَانَ صَالِحاً أَوْ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ طَالِحاً.

ثُمَّ ذَكَرَ فِي خَاتِمَةِ الخُطْبَةِ الجَنَّةَ وَمَا فِيهَا مِنَ الدَّرَجَاتِ وَالمنَازِلِ وَأَنَّهُ لَا يَفْنَى نَعِيمُهَا وَلَا يَنْتَقِلُ مِنْهَا سَاكِنَهَا وَلَا يَبْلُغْ الشَيْخُوخَةَ وَلَا يُصِيبُهُ فِيهَا التَّعَبَ وَلَا الهَمّ، فَاللَّهُمَّ ارْزُقْنَا إِيَّاهَا.

فافْهَمْ – وَأَنْتَ أَهْلٌ لِلْفَهْمِ- أَنَّ فِي كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْفَلَاحَ وَالظَّفَرَ بِالْغَنِيمَةِ؛ لِأَنَّ السَّعِيدَ مَنْ كَانَ خَبِيراً بِحَالِهِ وَاتَّعَظَ بِغَيْرِهِ، فَاتَّبِعْ مَا نَقَلْنَاهُ لَكَ عَنْهُ؛ تَكُنْ مِنَ الرَّاشِدِينَ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

من عظماء الإسلام

أبو اليسر

عبد العزيز بن الصديق الغُمَّاري الحسني

اسمه وكنيته:

هو سليل العترة النبوية الطاهرة السيد العلامة محدث المغرب، ذهبي العصر، الصوفي سيدي أبو اليسر عبد العزيز بن محمد بن الصديق بن أحمد بن عبد المؤمن الغماري الإدريسي الحسني.

نسبه:

يعود نسبه من جهة الأب والأم إلى سيدنا إدريس الأصغر ابن مولانا إدريس الأكبر فاتح المغرب بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن سيدنا علي وفاطمة – عليهما السلام– كما هو مدون في كتب التراجم وأمه حفيدة الولي الصالح سيدي أحمد بن عجيبة شارح الحكم العطائية.

مولده:

وُلد – رحمه الله تعالى– في شهر جمادى الأولى سنة 1338هجري الموافق له 1920رومي بثغر طنجة .

نشأته:

نشأ في رعاية والده وتعاهده منذ صغره فحفظ القرآن الكريم، وكان والده مهتماً به غاية الاهتمام، وذلك بالرعاية والنصح والإرشادات التي قربت إليه الأقصى في كثير من المسائل لما كان عليه من سعة الاطلاع وحسن البيان والتعليم والتبليغ، وكان والده يوصيه وقت الطلب بألا يراجع شيء من الحواشي والتقريرات وقت الطلب ويقول له: إذا حصلت الملكة بالكتاب الصغير في أي فن من الفنون صار الفن كله بكتبه المطولة وحواشيها في متناول اليد يسهل فهمهما، وأخذ عنه الطريقة الشاذلية الدرقاوية، وأذن له في تلقين وردها المعروف، فله منه الأخذ التام، والمدد الخاص والعام، وقد تلقى كثيراً من المتون الأساسية التي هي أساس التحصيل في العلوم الشرعية مثل: الأربعين النووية في علم الحديث ومتن ابن عاشر الذي يشتمل على التوحيد والفقه والتصوف ومتن الجزرية ومورد الظمآن في علوم القرآن والبيقونية ونخبة الفِكَر في علم مصطلح الحديث وشيء من تفسير البيضاوي والأجرومية في النحو وغيرها من العلوم الأساسية كل ذلك كان برعاية والده وتحت مراقبته في مسجده الكائن بشارع القادرية بمدينة البوغاز المعروفة بطنجة في شمال المغرب.

رحلاته:

الرحلة إلى مصر:

بعد وفاة والده – رحمه الله تعالى– وحصوله على أمنيته من الدراسة الأولية شرع في ممارسة الدراسة العلمية وذلك عام 1355 هجري الموافق 1936 رومي حيث رحل إلى القاهرة من أرض الكنانة واختار دراسة الفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه فقرأ المنهج في الفقه للشيخ زكريا الأنصاري بشرحه، ومتن التحرير في الفقه للشيخ زكريا الأنصاري بشرحه أيضاً، ومتن أبي شجاع في الفقه بشرح تقي الدين الحصني، وتفسير الجلالين جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، والألفية بشرحيها لابن عقيل والأشموني، والسلم بشرح الناظم والدمنهوري، وألفية العراقي في مصطلح الحديث، ولب الأصول في علم الأصول للشيخ زكريا بشرحه ، ومتن ايساغوجي في علم المنطق للشيخ زكريا الأنصاري – أيضاً– وغيرها من العلوم المتعارف عليها في الأزهر في ذلك الزمان مع كثرة ملازمته للشيوخ خارج الأزهر وذلك عملاً بوصية والده من الإكثار في التلقي ومجالسة العلماء والأخذ عنهم أينما كانوا وحيثما حلوا والسهر على خدمتهم والتأدب بآدابهم وهو منهج السلف الذي يعتمد عليه كل من أراد أن يصعد سلم الوصول، فسمع صحيح الإمام مسلم من أوله إلى آخره، والأوائل العجلونية وكثيراً من الأجزاء الحديثية .

قام الإمام – رحمه الله– بكثير من الرحلات منها رحلته إلى تونس والجزائر وإلى المدن الأندلسية والحرمين الشريفين بالديار الحجازية، وأدى فريضة الحج المقدسة وزار قبر جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وذلك عام 1401 هجري ثم حج مرة ثانية بيت الله الحرام وكذلك المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عام 1403 هجري وأدى سنة العمرة في شعبان عام 1404 هجري.

عودته إلى طنجة:

بعد أن ملأ الوطاب واقتنى من العلوم ما عزّ منها وطاب رجع شيخنا – رحمه الله– إلى طنجة في شهر ربيع الأنور عام 1367 هجري الموافق له 1947 رومي وكانت مدة إقامته في مصر نحو اثني عشر عاماً.

شيوخه:

تلقى الشيخ الإمام على العديد من المشايخ نذكر منهم :

شيوخه من المغرب:

- والده الإمام العلامة العارف بالله تعالى القدوة الشيخ سيدي محمد بن الصديق الغماري الحسني الإدريسي.

- شقيقه العلامة الحافظ المجتهد السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغُمّاري فبه تتلمذ في علم صناعة الحديث وتأثر بحفظه ومتانته غاية التأثر وعلى نهجه سار حتى وصل في فن صناعة الحديث إلى أن لقبه البعض بذهبي العصر، وتأثر بكل كتبه لاسيما كتابه فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي.
- شقيقه العلامة المفسر المحدث الأصولي إمام العصر المحقق السيد عبد الله بن الصديق الغماري.
- العلامة المسند الكبير المؤرخ النَسَّابة السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني.

شيوخه من مصر:

- مسند مصر العلامة المحقق السيد أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن رافع الحسيني القاسمي الطهطاوي.
- العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن محمد الدلبشاني الموصلي الحنفي البصير.
- العلامة الشيخ عبد السلام غنيم الدمياطي الأزهري الضرير.
- العلامة المعمر الشيخ محسن بن ناصر بن صالح با حربة اليماني الشافعي.
- العلامة اللغوي الأديب محمد الخضر بن حسين التونسي.
- العلامة البَحَّاثة الشيخ محمد زاهد بن الحسين بن علي الكوثري الحنفي.

شيوخه من الشام:

- شيخ علماء الشام العلامة بدر الدين بن يوسف بن بدر الدين البيباني الدمشقي الشافعي.
- العلامة القاضي المطلع الرحلة أبو الوفاء خليل بن بدر بن مصطفى بن خليل القرشي المقدسي.
- العلامة الشيخ عبد الحسين شرف الدين ابن يوسف الموسوي العاملي الشيعي.
- العلامة المؤرخ الأديب البَحَّاثة محمد راغب بن محمود هاشم الطباخ الحلبي الحنفي.
- العلامة المشهور صاحب التآليف بوصيري العصر أبو المعالي الجمال يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل النبهاني الفلسطيني.

شيوخه من الحجاز:

- العلامة الكبير الشيخ أبو البقاء عبد الباقي بن ملا محمد علي بن ملا محمد معين الأنصاري اللكنوي المدني.
- العلامة المسند المؤرخ الزاهد الشيخ أبو البركات عبد الله بن محمد غازي الهندي المكي.
- محدث الحرمين الشريفين أبو حفص عمر بن حمدان المحرسي التونسي ثم المدني.

- مسند الحجاز، مُلحِق الأحفاد بالأجداد، علم الدين محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي الشافعي.

تدريسه:

اشتغل في طنجة بالتدريس والتصنيف مع الاشتغال بالذكر والأوراد والخطابة والتعليم فأقبل عليه الناس من كل صوب وحدب فكان منزله محطة لطلبة العلم مع همة عالية وضيافة تدل على أصله الكريم مع اهتمام مبالغٍ فيه بالطلبة الغرباء الوافدين فكان لا يمل ولا يكل من مجالستهم وملاطفتهم وإكرامهم فأجاد وأفاد وعلم وربى وأسس ونفع الله به العباد والبلاد على نهج الأوائل من الأكابر والأولياء والصالحين نفعنا الله ببركته وعلومه آمين.

مؤلفاته:

رسم قلمه البارع السيال الكثير من المؤلفات في شتى الموضوعات كلها نافعة نفيسة تدل على بعد نظره وندرة وجود أمثاله إذ كان في أسلوبه على منهج الأوائل يؤسس ويبني وينقض مع علو كعبه في المحافظة على مكانة من كان يخالفهم في النهج العلمي و نذكر من مؤلفاته ما انفرد بها عن غيره وكل ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- الباحث عن علل الطعن في الحارث.
- التحذير من أخطاء النابلسي في تعبير رؤيا فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.
- الوقاية المانعة من وسوسة ابن العربي في قوله تعالى: (خافضة رافعة).
- إثبات المزية بإبطال كلام الذهبي في حديث: (من عادى لي ولياً).
- مفتاح السعادة بصحة حديث (النظر إلى علي عبادة) أو الإفادة بطرق حديث (النظر إلى علي عبادة).
- دفع الضرر عمن يقول بإمكان الوصول إلى القمر.
- حكم تحديد النسل.
- القول الأسد في إبطال حديث (رأيت ربي في سورة شاب أمرد).
- حكم الإقامة ببلاد الكفار وبيان وجوبها في بعض الأحوال.
- ما يجوز ومالا يجوز في الحياة الزوجية.
- تحذير الأغبياء من مذهب النشوء والارتقاء.
- مسند سيدة نساء العالمين فاطمة بنت سيد المرسلين.
- التبيان لحال حديث: "أنا ابن الذبيحين" أو كشف الرين عن حديث: (أنا ابن الذبيحين).

- إفادة الأتقياء بما ورد في اطلاع الميت على عمل الأحياء.
- إمامة المرأة المسمى حسن الأسوة بما ورد في إمامة المرأة بالنسوة.
- الأربعين العزيزية فيما أخبر به النبي صلوات الله عليه من أحوال الوقت.
- النفحة الإلهية في شرح الوصية الصديقية.
- السوانح.
- السفينة.
- تزيين العبارة بتفسير سورة الكوثر بطريق الإشارة.

وله كثير من المؤلفات النافعة من أراد الاطلاع عليها فليراجع ثبته (فتح العزيز في أسانيد السيد عبد العزيز) للعلامة المحدث الناقد سيدي محمود سعيد ممدوح حفظه الله، وكتاب إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثُلة من علماء المغرب المعاصرين تأليف محمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج.

تلاميذه:

جلس بين يديه – رحمه الله– العديد من علماء أهل السنة وغيرهم، نذكر منهم – على سبيل المثال لا الحصر– فضيلة العلامة خادم العلم الشريف أبي الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي حفظه الله، وشقيقه الفقيه الداعية المحدث محمود منصور قرطام الحسيني الشافعي حفظه الله، وفضيلة العلامة الشيخ المحدث المسنَد المكثر من التآليف النافعة سيدي محمود سعيد ممدوح الشافعي حفظه الله، وفضيلة الشيخ العلامة محمد علوي المالكي الحسني رحمه الله، والشيخ محمد عوض منقش الزبيدي، والشيخ إسماعيل عثمان زين، والسيد عمر بن محمد الأهدل، والسيد إبراهيم بن عمر بن عقيل باعلوي، والمحدث الكبير محمد عبد الرشيد بن عبد الرحيم النعماني، والكياهي عبد الحليم جاكرتا، والحاج حسن بصري قاضي كوالالمبور ماليزيا، وغيرهم كثير إذ في الإشارة على هؤلاء ما يغني عن إطالة العبارة.

مواقفه:

للشيخ كثير من المواقف التي تدل على شرفه وعلو مكانته وعدم خشيته في الله لومة لائم منها ما هو سياسي وما هو علمي أدت به إلى أن يوقف عن إعطاء الخطب الجمعية وبقاءه في الدار أحياناً أخرى إذ لا ضير في ذلك إذا علمنا أن أسوته جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقدوته العلماء والأولياء والعارفين وبذلك جرت سنة الله في خلقه وهو المعروف من سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حيث سئل أي

الناس أشد بلاءً فقال : "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ". وعلى هذا عاش هذا الإمام إذ الرجال تعرف بالمواقف والمبادئ لا بسواها.

وفاته:

توفي رحمه الله يوم الجمعة **6** رجب الفرد عام **1418** هجري الموافق له **1997/11/7** رومي على الساعة الرابعة والنصف مساءاً بعد معاناة طويلة مع مرض عضال، ودفن يوم السبت بعد صلاة الظهر بجوار والديه وشقيقيه عبد الله وعبد الحي بتاريخ **7** رجب الفرد **1418** هجري الموافق له **1997/11/8** رومي، وصُلي عليه في الجامع الكبير بمدينة طنجة المحروسة من بلاد المغرب الأقصى.

رحم الله الجميع رحمة واسعة ونفعنا بعلومهم وبركاتهم وحشرنا في زمرتهم مع الأنبياء والأولياء والصديقين وحسن أولئك رفيقا اللهم آمين .. آمين .. آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

فتاوى وأحكام

لطيف الكلام في أول كل عام

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، خالق المكان ومقدِّر الزمان، من ألزَمَ كلَّ من دونَه مراتب النقصان، وتفرَّد سبحانه بالغنى عن من سواه، فكان حقًّا أهلاً للتوحيد والإعظام، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد أطهر إنسان، وأشرف من حلَّ بمكان وجرى عليه زمان، وعلى آل بيته النجوم الحِسان، وصحبه ذوي العلم والإكرام، وكلِّ من سار على هديه واقتفى بإحسان، وبعد،،،

فإن الله تعالى خلق المكان والزمان، وجعلهما علامة الحدوث والنقصان، وخلق الليل والنهار، وجعل في تعاقبهما مرور الأيام، وانقضاءِ الأعمار والأزمان، فكانا حقًّا آيتين عظيمتين لمن أحسن النظر والإمعان، ثم خلق سبحانه الشمس والقمر، وجعل لكل منهما منازل وسنن، وفي تعاقب تلك المنازل أنيطت الأحكام، فمن حكمته تعالى أن جعل للشمس أحكامًا وكذا للقمر أحكام، لا ينبغي لمسلم جهلها، ولا لجاهل تغافلها، إذ إنَّهَا سنة الأكوان.

قال المولى سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعلنَا اللَّيلَ والنَّهارَ آيتَيْن، فَمَحَوْنَا آيةَ اللَّيلِ وَجَعَلنَا آيةَ النَّهارِ مُبصِرَةً لِتبتَغُوا فَضلا مِّن ربِّكُم ولِتَعلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحِسَاب ﴾(الإسراء: من الآية 12)، وقال سبحانه: ﴿ هُوَ الذِي جَعَلَ الشَّمسَ ضِيَاءً والقَمَرَ نُورًا، وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحِسَاب ﴾(يونس: من الآية 5)، وإنَّ مما أنيط بالشمس أحكام اليوم من صلاة وصيام، فالصوم مؤقت بمدة النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا واشرَبُوا حَتَّى يتبيَّنَ لكُمُ الخيطُ الأبيضُ مِنَ الخيطِ الأسودِ منَ الفَجر ﴾(البقرة: من الآية 187)، وكذا الصلاة تتعلق بطلوع الفجر، وطلوع الشمس، وزوالها، ومصير ظلِّ الشيء مثله، ثم غروبها، وغروب الشفق، قال تعالى: ﴿ أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمسِ إلى غَسَقِ اللَّيل، وقُرآنَ الفَجرِ إنَّ قرآنَ الفَجرِ كَانَ مَشهُودًا ﴾(الإسراء: الآية 78)، وفي الحديث عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « أَمَّنِي جِبرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ عِندَ البَيتِ مَرَّتَينِ، فَصَلَّى بِيَ الظُّهرَ حِينَ زَالَت الشَّمسُ وَكَانَت قَدْرَ الشِّرَاكِ، وَصَلَّى بِيَ العَصرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثلَهُ، وَصَلَّى بِيَ يَعنِي المغرِبَ حِينَ أَفطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّى بِيَ العِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، وَصَلَّى بِيَ الفَجرَ حِينَ حَرُمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَى الصَّائِمِ، فَلَمَّا كَانَ الغَدُ صَلَّى بِيَ الظُّهرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثلَهُ، وَصَلَّى بِي العَصرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثلَيهِ،

وَصَلَّى بِيَ المغرِبَ حِينَ أَفطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّى بِيَ العِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيلِ، وَصَلَّى بِيَ الفَجرَ فَأَسفَرَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: "يَا مُحَمَّدُ هَذَا وَقتُ الأَنبِيَاءِ مِن قَبلِكَ وَالوَقتُ مَا بَينَ هَذَينِ الوَقتَينِ" «(رواه أبو داود وغيره).

ثم من حكمته تعالى أن أناط بالقمر معرفة السنين والشهور، ثم ما يترتب على تلك المعرفة من أحكام البلوغ والتكليف، والصوم والفطر، والحيض والنفاس وغيرها، قال المولى تعالى: ﴿ وَيَسأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُل هِيَ مواقيتُ للنَّاسِ والحجّ ﴾(البقرة: من الآية 189)، فأخبر أنَّ الأهلة مواقيت للناس عمومًا، وخصَّ الحج لمزيد الاهتمام، وفي الحديث عند الإمام مسلم وغيره عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: » أَنَّ سيِّدَنا ومولانَا رسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ رَمَضَانَ، فَضَرَبَ بِيَدَيهِ فَقَالَ: الشَّهرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا ثُمَّ عَقَدَ إِبهَامَهُ فِي الثَّالِثَةِ – يعني تسعةً وعشرين يومًا–، فَصُومُوا لِرُؤيَتِهِ – أي الهلال– وَأَفطِرُوا لِرُؤيَتِهِ، فَإِن أُغمِيَ عَلَيكُم فَاقدِرُوا لَهُ ثَلاثِينَ «، وروى الإمام البيهقي في السنن وغيره عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنهما قال: قال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: » إِنَّ خِيَارَ عبادِ اللهِ الذِينَ يُراعُونَ الشَّمسَ والقَمَرَ والنُّجومَ والأظِلَّةَ لذكرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ «، والأدلة في هذا المقام كثيرة جدًّا بكثرة الأحكام التي يحتاجها الناس في مصالح دينهم ودنياهم من صومهم وفطرهم، وحَجِّهم وزكاتهم، ونذورهم وكفَّاراتهم، وعِدَّة نسائهم ومُدد إيلائهم، ومُدد إجازاتهم، وحلول آجال ديونهم وغير ذلك مما هو مؤقَّت بالشهور والسنين.

هذا وإنَّ السنة القمرية كما هو معلوم تتكون من اثني عشر شهرًا قمريًّا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّة الشُّهور عندَ اللهِ اثنَا عَشَرَ شَهرًا فِي كِتَابِ اللهِ يومَ خَلَقَ السَّمَاواتِ والأرض ﴾(التوبة: من الآية 36)، وهذه الشهور على الترتيب هي: شهر المحرم، شهر صفر، شهر ربيع الأول، شهر ربيع الثاني، شهر جمادى الأولى، شهر جمادى الآخرة، شهر رجب، شهر شعبان، شهر رمضان، شهر شوال، شهر ذي القعدة، وشهر ذي الحجَّة.

ومما هو حريٌّ بالذكر في هذا المقام أن ننبِّه على وجوب معرفة هذه الشهور لما يتعلق بها من أحكام عينية على كل مكلف، وإن ما أدى إلى الواجب فهو واجب، فيجب علينا أن نعلَمَها ونعلِّمها أبناءنا وأحبابنا، إذ عليها مدار طاعاتهم ونجاتهم، وإن من العجيب أن نرى الناس هذه الأيام يجيدون معرفة السنين والشهور الرومية ويتقنون حسابها لما يتعلق بذلك من مصالحهم الدنيوية، وذلك مشروع لهم، إلا أنهم يغفلون في حالهم ذاك عن معرفة السنة القمرية وشهورها، وبذلك يقعون في المحظور لغفلتهم عن أسباب طاعاتهم وبالتالي غفلتهم عن مناطها وهو سرُّ سعادتهم ونجاتهم.

ثم إن المولى سبحانه وتعالى ببالغ رحمته وعظيم حكمته جعل لعباده المؤمنين في كل يوم وليلة لطيفة من وظائف طاعته، منها ما كان فرضًا كالصلوات الخمس، ومنها ما يندب من غير افتراض كنوافل الصلاة

والذِّكر وغيرها، وجعل في شهور الأهلة كذلك، فجعل فيها الصيام والزكاة والحج، منها ما هو مفروض كصوم رمضان وحجة الإسلام، ومنها ما يندب كصوم عرفة وعاشوراء وشعبان وشوال والأشهر الحرم وغيرها.

ثم فضَّل سبحانه وتعالى بعض الشهور على بعض فقال: ﴿ شَهرُ رَمَضَانَ الذِي أُنزِلَ فيهِ القُرآن ﴾(البقرة: من الآية 185)، وقال سبحانه: ﴿ الحجُّ أشهرٌ مَعلُومَات ﴾(البقرة: من الآية 197)، وقال أيضًا: ﴿ مِنهَا أربعَةٌ حُرُمٌ، ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلا تظلِمُوا فيهِنَّ أنفُسَكُم ﴾(التوبة: من الآية 36)، كما جعل سبحانه بعض الأيام والليالي أفضل من بعض، ففضَّل يوم الجمعة على سائر أيام الأسبوع، ويوم عرفة على أيام السنة، وليلة القدر على سائر الليالي، وهكذا سنة المفاضلة بين الخلق في كل شيء لحكمة أرادها المولى أن تكون لنا عبرة في كل حال.

وإنه ما من موسم إلا وفيه نفحة لا ينبغي لعاقل أن يغفلها أو يتهاون فيُعرِضَ عنها، ولعلَّ من أهم تلك الوظائف التي ندركها أول العام، ونتعرض إليها في هذا المقام، هي وظيفة التوبة مما مضى، ونصب راية الحق والهدى، والجِدَّ في إصلاح أمرنا قبل الرَّدى، إذ ما زلنا في فسحة الحياة التي قد تنتهي إذا ما العُمر انقضى، فعادة التاجر الحاذق أنه في كلِّ عام يدبِّر حسابه فينظر هل كان ربحٌ أم كان غيرُ ذلك، فإن كان ربحٌ أظهر الجِدَّ لطلب المزيد، وإن لم يكن كذلك شمَّر عن ساعده ساعيًا إلى تغيير حاله، أمَّا إن كان خاسرًا في تجارته، فالأمر عليه صعبٌ حينئذ، لكنَّه مع كل ذلك يعلم أنه ما زال في فسحة العمل قادرًا على العمل والاجتهاد والعطاء، فلا ييأس، بل يرفع همته ليصلح شأنه ويعوِّض ما فاته، هذا هو الحال في أمور الدنيا، فما بالنا نغفل عن أمور آخرتنا ومعادنا، قال تعالى: ﴿ بَل تُؤثِرُونَ الحياةَ الدُّنيا، والآخِرَةُ خيرٌ وأبقَى ﴾(الأعلى: الآيات 16-17).

إن من أجلِّ ما يفعله المرء في أوَّل عامه أن يزن عمله بميزان الرضا، وينظرَ حالَه هل كان من أهل الرضا، فإن كان رابحًا فليحمد الله تعالى وليشكر، وليس شكرٌ يكون إلا بطلب المزيد، وإن كان غير ذلك تاب وأناب، وأحسن العمل في كلِّ باب، لعل الله تعالى يصلح شأنه ويكرمه بجزيل الثواب.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ينوِّر أعمارنا بطاعته، وأن يكرمنا بحسن التوبة والإنابة فنكون أهل محبته، وأن يمن علينا في الدنيا بصحبة الصالحين من أحبَّته، ويختم لنا بالخير فنكون أهلاً لجنته وجميل منَّته ورحمته، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، اللهم آمين يا رب العالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

من أدب الإسلام

التنفير من الهوى والترغيب في العقل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا المعظم المكرم رسول الله وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين ومن والاه، أما بعد،،،

التَّنْفِيرُ مِن الْهَوَى:

اعْلَمْ – وَأَنْتَ أَهْلٌ لِلْعِلْمِ– أَنَّ اللهَ – جَلَّ وَعَزَّ– أَنْشَأَ الانسانَ فَأَحْسَنَ خَلْقَهُ، وَحَضَّهُ عَلَى الْخَيْرِ وَأَغْرَاهُ بِهِ، وَنَهَاهُ عَن الشَّرِّ وَحَذَّرَهُ مِنْهُ، وَمِن سُبُلِهِ – أَي الشَّرُّ–: الْهَوَى وَهُوَ آفَةُ رَأْيِ الْانْسَانِ الَّذِي يُضَلِّلُهُ بِتَزْيِينِ الشَّرِّ وَقَلْبِ الْأُمُورِ عَن حَقَائِقِهَا، قَالَ الشَّعْبِيُّ: "إِنَّمَا سُمِّيَ الْهَوَى هَوىً؛ لِأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ". وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: "مَن أَطَاعَ هَوَاهُ؛ أَعْطَى عَدَوَّهُ مُنَاهُ". وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: "الْعَقْلُ صَدِيقٌ مَقْطُوعٌ، وَالْهَوَى عَدُوٌّ مَتْبُوعٌ".

وَقَد قَالَ الْقَاضِي الْمَاوِرْدِيُّ الشَّافِعِيُّ: "وَحَسْمُ ذَلِكَ – أَي لِلخَلَاصِ مِن الهوَى– أَنْ يَسْتَعِينَ الْعَقْلُ بِالنَّفْسِ النَّفُورِ؛ فَيُشْعِرَهَا مَا فِي عَوَاقِبِ الْهَوَى مِن شِدَّةِ الضَّرَرِ، وَقُبْحِ الْأَثَرِ، وَكَثْرَةِ الْإِجْرَامِ، وَتَرَاكُمِ الْآثَامِ؛ فَقَدْ قَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿ حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ﴾ (رواه مسلم). وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

قَــدْ يُـــدْرِكُ الْحَـــازِمُ ذُو الـــرَّأْيِ الْمُـــنَى بِطَاعَـــةِ الْحَـــزْمِ وَعِصْـــيَانِ الْهَـــوَى

وَقَدْ قِيلَ فِي المثلِ: "العَقلُ وَزِيرٌ نَاصِحٌ، وَالْهَوَى وَكِيلٌ فَاضِحٌ"، قَالَ الْمَاوِرْدِيُّ: "وَالْهَوَى يُخْفِي مَكْرَهُ حَتَّى تُمَوَّهَ أَفْعَالُهُ عَلَى الْعَقْلِ؛ فَيُتَصَوَّرُ الْقَبِيحُ حَسَناً، وَالضَّرُرُ نَفْعاً، وَهَذَا يَدْعُوا النَّفْسَ لِلْمَيْلِ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ؛ فَيَخْفَى عَنْهَا الْقَبِيحُ لِحُسْنِ ظَنِّهَا وَتَتَصَوَّرُهُ حَسَناً لِشِدَّةِ مَيْلِهَا؛ وَلِذَلِكَ قَالَ رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿ حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ ﴾ (رواه أبو داوود بإسناد ضعيف). وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "الْهَوَى عَمَى". وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "اقْدَعُوا أَي امْنَعُوا هَذِهِ النُّفُوسَ عَن شَهَوَاتِهَا؛ فَإِنَّهَا طَلُعَةٌ تَنْزِعُ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ". وَقَالَ الْأَحْنَفُ ابْنُ قَيْسٍ: "مِن كُلِّ شَيْءٍ يُحْفَظُ الْأَحْمَقُ إِلَّا مِن نَفْسِهِ".

افْهَمْ – وَأَنْتَ أَهْلٌ لِلْفَهْمِ– أَنَّ الْعَقْلَ عَلاَمَةُ التَّكْلِيفِ وَأَمَارَةُ التَّشْرِيفِ – أَي الْفَارِقِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ– فَبِعَدَمِهِ لَا يَجْرِي قَلَمٌ عَلَى امْرِئٍ وَهُوَ عِصْمَةُ الإنسَانِ مِن المهَالِكِ وَدَاعِيَةُ سُلُوكِ سَبِيلِ السَّلَامَةِ وَحَامِي المؤمِنِ مِن أَنْ يَلْدَغَهُ أَهْلُ الشُّرُورِ وَاللُّؤْمِ؛ فَقَدْ قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شَعْبَةَ عَن سيدنا عُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِي اللهُ عَنْهُ: "كَانَ وَاللهِ أَفْضَلَ مِن أَنْ يُخْدَعَ، وَأَعْقَلَ مِن أَنْ يَخْدَعَ". وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "لَسْتُ بِالْخِبِّ وَلَا الْخِبُّ يَخْدَعُنِي".

وَقَدْ قِيلَ فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾(الإسراء: من الآية84) أَي بِحَسْبِ عَقْلِهِ. وَرَوَى كَذَلِكَ الْمُحَدِّثُ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ الْهِلَالِيّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً ﴾(يّس: من الآية70) أَي مَنْ كَانَ عَاقِلاً.

وِقيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: "كُلُّ شَيْءٍ إِذَا كَثُرَ رَخُصَ إِلَّا الْعَقْلَ فَإِنَّهُ إِذَا كَثُرَ غَلَا". وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: "أَنَّ الْعَاقِلَ مِن عَقْلِهِ فِي ارْشَادٍ، وَمِن رَأْيِهِ فِي إِمْدَادٍ؛ فَقَوْلُهُ سَدِيدٌ، وَفِعْلُهُ حَمِيدٌ، وَالْجَاهِلُ مِن جَهْلِهِ فِي إِغْوَاءٍ، وَمِن هَوَاهُ فِي إِغْرَاءٍ؛ فَقَوْلُهُ سَقِيمٌ، وَفِعْلُهُ ذَمِيمٌ".

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: "خَيْرُ الْمَوَاهِبِ الْعَقْلُ، وَشَرُّ الْمَصَائِبِ الْجَهْلُ". وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: "الْعَقْلُ أَفْضَلُ مَرْجُوٍّ وَالْجَهْلُ أَنْكَى عَدُوٍّ". فَكُنْ عَاقِلاً حَصِيفاً يَهْدِكَ اللهُ سُبُلَهُ وَيَزِدْكَ مِن خَيْرِهِ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

قبسات من المجلة الزيتونية

المقصد العظيم من الهجرة الشريفة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد أشرف المرسلين وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد،،،

إن في كل شأن من شئون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصها وعامها دلائل على أنه بمحل العناية من ربه تعالى تحقق معنى قوله تعالى: ﴿ فإنك بأعيننا ﴾ أي بمحل العناية منا (**إذ حقيقة العين يستحيل إثباتها لله تعالى فتعين بحكم استعمال اللغة أن تكون العين في الآية مرادا منها لازم لازم حقيقتها وهو الاعتناء اللازم لمعنى المشايعة والمشايعة من لوازم النظر المراد من العين كما قال النابغة يخاطب النعمان بن المنذر:**

رأيتك ترعاني بعين بصيرة　　　وتبعث حراسا علي وناظرا)

ومن أعظم الشئون التي عرضت للرسول عليه السلام في رسالته خروجه من وطنه في ذات الله تعالى وكان في ذلك الشأن من المقاصد الإلهية العظيمة ما لا يحيط به غير علام الغيوب فلا جرم أن نعد منها ما بلغ إليه العلم والهمة الفهم في هذا الوقت القصير. وعسى أن يكون في قليله تنبيه كثير، يفتح فهم الناقد البصير.

الهجرة شنشنة من أحوال الرسل فقد هاجر ابراهيم ولوط وهود وصالح وموسى ويونس ولكل وجهة على هيئة تلك الشنشنة هي التي أنبأت ورقة بن نوفل بأن محمداً عليه الصلاة والسلام سيسلك به ربه مسلك رسله " سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا " كان ورقة بن نوفل القرشي المتنصر في الجاهلية قد توسم من بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخرج أو يخرج من وطنه، ففي صحيح البخاري أن رسول الله لما ذهب اليه بإشارة خديجة رضي الله عنها وقص عليه رؤية الملك ونزول الوحي عليه في غار حراء قال له ورقة "هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك". قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ أَوَمُخْرِجِيَّ هم ﴾. قال ورقة: "نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وأن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزراً"

كان خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكة نبذا منه لأهل الشرك وسخطا عليهم وتنزيها للدين عن البقاء بين أظهرهم وإعلانا لسائر الناس بأن أمر هذا الدين ليس بالأمر الهيّن فإن الدعوة بالفعل

مع القول أشد نفوذا إلى النفوس من مجرد القول بحيث صارت الدعوة الاسلامية حادثا مشاهداً ومُتَحَدَّثاً به بعد أن كانت مسموعة لا غير ولذلك سمي هذا الخروج هجرة مشتقة من الهجر وهو قطع المعاشرة ولقد كانت بإذن الله له بذلك حين تهيأت الاسباب التي أرادها الله تعالى كما أنبأ به حديث الهجرة في الصحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر: ﴿ إن الله أذن لي في الهجرة ﴾ ولم يكن ذلك الخروج فراراً وخشية من المشركين لأن الله الذي عصمه منهم ثلاث عشرة سنة وهم يؤذونه بالقول ولا يقدمون على إلحاق الضرر به قادرا على إكمال عصمته منهم وخاصة بعد أن كثر أتباعه واعتزوا بأقويائهم مثل عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب. وقد علم رسول الله أنه اذا خرج من بين قومه يعدون خروجه غلبة معنوية عليهم فيحاولون منعه فلذلك رأى أمره أعون على مراد الله من خروجه ورأى الاختفاء بعد الخروج ثلاث ليال بغار ثور أقطع لطماعة المشركين في اللحاق به وأعجز لهم في طلبه ولذلك كان يسير الليل ويستريح النهار وتلك أيضا عادة العرب في سيرها في وقت الحر وقد كانت الهجرة في زمن الحر.

الهجرة مفارقة الوطن على نية عدم الرجوع إليه وأسبابها تارة تكون للطمع في نفع يحصل للمهاجر في الموطن الذي ينتقل إليه وتارة من كراهية الإقامة في الوطن لعداء بين المهاجر وقومه أو لأذًى لحقه منهم، وتارة لنشر دعوة أو إظهار فضيلة أو استنصار على عدو أو غير ذلك، فهي أخص من السفر ومن التغرب لأن في السفر والتغرب أمل العود الى الوطن.

وأياً ما كانت غايتها ومنفعتها فإنها شديدة المضاضة على النفس لأن في مفارقة الوطن مفارقة لأعلق البقاع بالقلب مما شب فيه المرء وألفه ومفارقة قرابته وجيرانه وأحبته وقد قال أبو الطيب وأجاد:

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت ... لهي المنايا الى أرواحنا سبلا[1]

وسماها القرآن فتنة في قوله تعالى: ﴿ والفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ ﴾(البقرة: من الآية 191) قال المفسرون أراد إخراج المؤمنين من بلادهم مكة ثم إن أسمى غاية يفارق المرء لأجلها وطنه وأقوى سبب يحدث عنه الشقاق بين المرء وذويه هو الذب عن الاعتقاد إذا بلغ عناد المخالفين فيه إلى حد تحجير إظهاره والمضايقة فيه ومحاولة الإرغام على تركه والتظاهر بما يخالفه وأن المرء ليضجر لو أغمضت عيناه أو سدت أذناه وما هما إلا بعض مظاهر إدراكه فكيف به إذا سد عليه قلبه وعقله ورأيه وأن أسمي العقائد وأقدس الآراء عقيدة الدين لتعلقها بأشرف الموجودات ولتجردها عن الغايات المادية والمنافع العاجلة التي تلائم هناء المرء في عيشه ومسالمة دهماء قومه إياه فالاعتقاد الديني اعتقاد محبوب لأجل كونه حقا بحتا ولأجل ذلك سنة من سنن المرسلين فما من

[1]- لهي اسم جمع لهاة بفتح اللام وهي الحلق، والمنايا جمع منِيَّة وهي الموت، وقد جمعها باعتبار متعلقاتها وهي نفوس الأحياء، وأثبت للمنايا حلوقا لأنه قدر تشبيهها بسباع تبتلع الأرواح على طريقة الاستعارة المكنية.

رسول إلا وقد أوذي في الله وكذلك كثير من أصحاب الرسل أوذوا وهاجروا معهم وبدونهم. ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم واتبعه من اتبعه من قريش وتكاثروا وحاولوا إظهار دينهم بين مشركي أهل مكة لم يرض المشركون بذلك وكشروا للمسلمين عن أنياب العدوان وأخذوا يؤذون المسلمين بصنوف من الأذى كانت تزداد يوماً فيوماً بمقدار رسوخ المسلمين في الاستمساك بدينهم وكان المسلمون صابرين على أذى المشركين حتى بلغ الصبر غايته، أذن رسول الله في سنة خمس لطائفة من المؤمنين المستضعفين والمقصودين بخاصة الأذى بالخروج من مكة ولم يخرج رسول الله حينئذ لأنه في منعة بعمه أبي طالب فقال لأصحابه لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه فأخرج من المسلمين يومئذ ثلاثة وثمانون رجلا وتسع عشرة امرأة فتلك الهجرة الأولى. وقد قيل أن ذلك كان باقتراح من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورجع مهاجرة الحبشة الى المدينة فكان حكم الهجرة من مكة واجباً على كل مسلم قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ (الأنفال: من الآية72)، ودام ذلك الحكم إلى فتح مكة.

كم من حكمة لله تعالى فيما اشتمل عليه حادث الهجرة من الأحوال وكم من نعمة أسداها لعبده ورسوله في تلك الهجرة دل بها على أنه بمحل عنايته وأنه متمم نوره ولو كره الكافرون قال تعالى وكان فضل الله عليك عظيماً.

الحكمة الأولى: صرفه ألباب قريش وحذقهم عن أن يفكروا في قطع دابر أمر الإسلام قبل أن يكثر أتباعه وينتدب له أنصاره وتشتيته رأيهم في صده عن الخروج حتى مكنه الله منه وفي ذلك اليأس تهيئة لهم نحو الدخول في الاسلام.

الحكمة الثانية: أن هيأ له أن تكون هجرته الى يثرب ولم يكن ذلك في باله أول وهلة ففي الصحيح عن أبي موسى الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ورأيت في المنام أني أهاجر الى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب» فكان من تيسير الله أن ساق إليه النفر الستة الأولين من الأوس الذين أسلموا من أهل يثرب فإن موقع المدينة كان وسطا من أرض العرب فكان بلوغ دعوة الاسلام إلى بلاد العرب بانتشار شعاعي وهذا أيسر عموما مما لو كانت دار الهجرة اليمامة أو هجر في الطرف الشرقي الشمالي من بلاد العرب.

الحكمة الثالثة: أن أهل يثرب كانوا أقرب قبائل العرب لقبول شريعة الإسلام فإنهم وإن كانوا قبل الاسلام مشركين يعبدون مناة وغيرها إلا إنهم لشدة مخالطتهم لليهود وهم أهل كتاب كانت ءاذانهم قد اعتادت معالي التوحيد والشرائع فكانت نفوسهم مرتاضة إلى ذلك.

الحكمة الرابعة: إن الله جعل للمسلمين من أهمية موقع المدينة من بلاد العرب سلطاناً على أعدائهم من أهل مكة فإن قريشاً كانوا تجار وكانت لهم رحلة في الشتاء إلى اليمن للتجارة وأخرى في الصيف إلى الشام سن لهم ذلك هاشم بن عبد مناف جد النبي عليه الصلاة وعلى آله السلام وذلك هو المسمى بالإيلاف[1] وكان مرورهم إلى الشام على طريق المدينة من بطن عالج فلما صارت المدينة دار سلام وثبتت العداوة بين أهلها وبين قريش صارت ترهب المرور على المدينة فانقطعت تجارتهم إلى الشام وهياهم تجارتهم وفي ذلك المعنى قال حسان بن ثابت مهددا لقريش

دعــوا فلجــات الشــام قــد حــال دونهـا	جــــلاد كـــأفواه المخــــاض الأوارك[2]
بأيــــدي رجـــال هــــاجروا نحـــو ربهـــم	وأنصـــــاره حقـــا وأيـــدي الملائـــك
إذا ســـلكت للغـــور مـــن بطـــن عـــالج	فقـــولا لهـــا لـــيس الطريـــق هنالـــك

الحكمة الخامسة: انتقال الاسلام من طور إلى طور أكمل منه هو الذي كان مقدمة كماله المعلن عليه يوم حجة الوداع بقوله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾(المائدة: من الآية3).

مضت مدة إقامة رسول الله صلى الله عليه وآله السلام بمكة والاسلام حينئذ في طور كان فيه دينا مقتصراً على إصلاح العقيدة وتهذيب نفوس أتباعه وتطهير أخلاقهم في خويصتهم ومجتمعهم ودعوة المشتركين إلى الإيمان بالله ورسله وما جاءوا به وتشهير فضائع أهل الشرك وضلالهم وسخافة رأيهم وذلك طور ابتدأ الله به الاسلام لينشأ منشأ سائر الكائنات من طفولة إلى شباب إلى كهولة ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾(الفرقان: من الآية32) ولتهيئة قلوب المسلمين إلى تلقي الشرائع وانتظام الجماعة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة تطور الاسلام إلى طوره الاشد فصار ديناً وجامعة وشريعة وحكومة.

الحكمة السادسة: استقلال الإسلام وأمنه واعلان العبادة فشرع الأذان وأقيمت الجمعة ونحو ذلك.

---

1 - الإيلاف مصدر أَلِف بمعنى ألف الشيء، وقد أشار إليه قوله تعالى: لإيلاف قريش وكان ذلك من خصائص قريش، قال مساور بن هند العبسي يهجو بني أسد ويكذبهم في دعواهم أنهم من نسل أسد بن عبد العزى من قريش

زعمـــــتم أن إخــــــوتكم قـــــــريش	لهـــــم إلـــــف ولـــــيس لكـــــم إلاف
أولئـــــك أومنــــوا جوعـــــاً وخوفـــــاً	وقـــــد جاعـــــت بنـــــوا أســـــد وخـــافوا

2 - الأوراك: التي تأكل الأراك فيجرح لها أفواهها فيسيل منها الدم

الحكمة السابعة: تنظيم الجماعة في الاسلام من أول الهجرة بابتناء المساجد وإقامة الأئمة والقضاء ومشروعية المواساة بين المسلمين بالزكاة والصدقات وتنظيم قوانين العائلة من شرع تصحيح عقود الزوج وحقوق الزوجين والقرابة والمصاهرة الخ. وبالاستخلاف في تدبير الأمور واقامة الأحكام في مغيب الرسول أو في البعد عنه. وابتداء التشريع العام في أحكام المعاملات والجنايات ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما نزل أول ما نزل من القرءان سورة من المفصل بين ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب إلى الاسلام نزل الحلال والحرام.

الحكمة الثامنة: تنظيم الدفاع عن الدين والأمة بالتهيؤ لمقاومة المشركين من أهل مكة وأحلافهم اذا نووا ذلك وهم بوشك أن ينووه إذا هم من قبل قد ناووه .

الحكمة التاسعة: إيجاد مال للمسلمين لإقامة مصالحهم وعدة لنوائبهم مجتمعاً من الزكاة والاوقاف ثم من المغانم والأنفال.

الحكمة العاشرة: مخاطبة ملوك الأرض ورؤساء الأمم بالدعوة إلى الدخول في دين الاسلام والاستظلال بالراية الإسلامية.

شيخ الإسلام المالكي

محمد الطاهر بن عاشور

علماء من غزة

الشيخ الشريف

أحمد محي الدين عبد الحي الحسيني الحنفي الغزي

اسمه ونسبه:

هو العلامة الفقيه الأديب، والفهامة النبيه اللبيب، عين العلماء، وفخر الأماثل، وتاج الفضلاء، وصدر المحافل ذو القدر الأشم، والفضل الأتم، والمجد الظاهر، والشرف الزاهر السيد الحاج أحمد محيي الدين الحسيني الحنفي المفتي بمدينة غزة ابن العلامة الشيخ عبد الحي الذي انحصرت فيه الوظائف الثلاث: القضاء، والافتاء بمدينة غزة، والخطَابَةُ بالجامع الكبير العمري ابن السيد سعد ابن العلامة الشيخ عبد الحيِّ القاضي بغزة، سلالة الأفاضل الفخام، والأماجد الكرام، ويعود نسب عائلة الحسيني إلى الحسين بن علي عليهما السلام، حيث يعود نسب العائلة في غزة إلى السيد الشيخ الشريف بدر الحسيني دفين وادي النسور في القدس.

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

ولد شيخنا الفاضل المترجَم له بغزة هاشم في عام 1223 من الهجرة الموافق لعام 1808 رومي، وتربى في حجر والده الذي لم يكن له غيره، ونشأ على حب العلوم والمعارفِ، وتحصيل الفضائل واللطائف، وأخذ في طلب العلم بغزة هاشم على: العلامة الكبير والفهامة الشهير الشيخ يوسف أبي زهرة، والعلامة مفتي الشافعية الشيخ محمد نجيب النخال، وشيخ الحنفية الشيخ صالح السقا حتى حصل الغاية، ثم ارتحل إلى مصر بجامعها الأزهر – أعاد الله نوره– في عام 1247 من الهجرة الموافق لعام 1832 رومي؛ لإكمال التحصيل حيث أخذ العلم عن أجلاء عظام منهم: شيخ الإسلام الشيخ حسن القويسني، ومفتي الديار المصرية الشيخ أحمد التميمي الخليلي، وغيرهما، ولا زال مجدًا في التحصيل، والتقلب على موائد العلوم، حتى أدرك المنطوق والمفهوم، وحاز من كل علمٍ لُبابَه، ولاحت عليه لوائح الفضل والنِّجَابة، فأجازه مشايخه بالإفتاء والتدريس، ثم عاد لغزة هاشم بكمال الفضل والعزة عام 1252 من الهجرة الموافق لعام 1836 رومي بعد ما مكث هناك خمس أعوامٍ، فتنازل له والده عن وظيفة الإفتاء، وظهر فضله واشتهر ذكره، وارتفع بين الخاص والعام قدره، وصار المرجع في كل مهمة، والكاشف لكل عويصةٍ ملمة، وخضعت له الحكام والأمراء، وانقادت إليه العربان وأهل القضاء، وعكف بنادي فضله العلماء والنبلاء، وقصده الفضلاء والشعراء، وطارحوه في مَحَجَةِ الأدب.

مناقبه:

كان رحمه الله وحيد عصره، وفريد دهره، لا يماثله مَنْ غيره من كان على جِدِّهِ وطريقته كمفتي الخليل الشيخ خليل التميمي، ومفتي دمشق السيد محمود أفندي حمزة، وكان متضلعًا في الفقه، وله دراية تامة بالفتوى، وقد كثر توارد الفتاوى عليه من بداية أمره إلى نهايته، وفتاويه كانت سديدة لم يُعْهَد عليه بها أدنى انحراف أو تخليط، وقد جمعت في مجلدٍ كبيرٍ لم نظفر به، ولكن منها ما هو مذكورٌ في كتاب "منتخبات الفتاوى الغزية للسيد عثمان الطباع"، ولم يكن يأخذ أجرًا على الفتاوى لعفته وعلو همته، وكان له معرفة تامة بالتاريخ والأدب، وعنده مَلَكَةٌ قوية في الشعر، واستحضارٍ عظيم في المحاورات والمطارحات، وكان يحفظ غالب خزانة الأدب، وكان عنده غيرةٌ شديدة على الدين، واحترام لأهل العلم والفضل، وانتصار للحق، وذب عن الدين وأهله بكل ما في وسعه لا تأخذه في الحق لومة لائمٍ لكمال رفعته، ووجاهته، وجرأته، وشجاعته، ولم يكن محبًا للدنيا، ولا حريصًا على جمعها، وكان له عناية بالمصالح العامة والأمور الخيرية، وبذل همةً زائدة في بناء جامع ومدرسة عند مزار السيد هاشم، واستحصل بمساعيه الجبارة على معونةٍ كبيرة من السلطان عبد المجيد خان، وحضَّ الأعيان والأغنياء على المساهمة في هذا المشروع حتى تمَّ كما يريد، وقد مدحه الكثير في قصائد منهم العلامة الأديب المهذب الشيخ إبراهيم الأحدب في قصيدةٍ بديعة ذكرها في ديوانه مطلعها:

أَلِفُ القَدِّ فَوْقُهَا الصِّدْغُ هَمْزَةٌ ... قَطَعَتْ مَنْ أَطَالَ فِيْ الحُبِّ هَمْزَهُ

لَيْتَهَا لِلْمُحِبِّ هَمْزَةُ وَصْلٍ ... أُعْرِبَتْ عَطْفَ قَامَةٍ مُهْتَزَةٍ

وقال فيه الفاضل الأديب السيد محمد سعيد الحسيني وكتب إليه بهذه القصيدة مع نثر لطيف:

عَرَضَتْ لَدَّيْكَ صَبَابَةُ الأَحْشَاءِ ... تُهْدِي إِلَيْكَ تَحِيَّتِي وَدُعَاءُ

نَشَرَتْ ذَوَائِبَ شِعْرِهَا تَبْغِي بِهِ ... غَضًا عَنِ التَّفْرِيْطِ وَالأَخْطَاءِ

جِهَادِهِ:

كَثُر حساده رحمه الله تعالى، واجتمعوا عليه فكادوا له حتى فصل عن وظيفة الافتاء عام 1278 من الهجرة الموافق 1851 رومي، وصدر الأمر بنفيه فاختار القدس – حررها الله– وتوجه إليها، وأقام فيها مدة، ثم عاد إلى غزة وأعيد إلى وظيفته، ثم حصل اضطرابات وحركات ضده عام 1282 من الهجرة الموافق 1865 رومية، فسافر خلسةً إلى مصر عن طريق العريش وأقام بها هو وأنجاله نحو سنة ونصف، واتصل بخديوي مصر إسماعيل باشا وقدم له قصيدةَ طويلة ذُكر في مطلعها:

يَـــا دَوْلَـــةً بَسَـــطَتْ بِسَـــاطُ نَـــدَاهَا فَكَـــسَى الـــدِّيَارَ جَمَالَهَـــا وَبَهَاهَـــا

وَتَلَـــتْ عَلَـــى الأَيَّـــامِ مَـــنْ أَنْبَاهَـــا إِنَّـــا فَتَحْنَـــا فَاسْـــتَنَارَ هُـــدَاهَا

إلى آخر ما أجاد به فيها، وكان تقديمها إليه في أثناء عام 1283 من الهجرة الموافق 1877 رومية فأثرت عنده ، ولا زال يكتب للدولة في شأنه حتى صدر العفو عنه، والترخيص له في الرجوع لغزة، فحضر بعدما رأى كبير الاحترام، وعظيم الإجلال والاكرام من علماء الجامع الأزهر وأعيان مصر، وكان وصوله لغزة في شهر رمضان عام 1283 من الهجرة الموافق لكانون الثاني عام 1867 رومية، وهنأه الفاضل الشيخ صالح سكيك بقصيدة طويلة، ثم أعيدت له وظيفة الافتاء، ثم حصلت فتن ومفاسد بغزة في عام 1287 من الهجرة الموافق 1870 رومي، فرفع من وظيفته، وعين الشيخ داود وتيدة البكرية، ثم أعيد إليها وفي سنة 1293 من الهجرة الموافق 1876 رومية فصل عن وظيفته، ونفي إلى دمشق الشام، فنزل عند الأمير عبد القادر الجزائري، ورأى مزيدًا من العناية والحفاوة والرعاية، ونال بتلك الأسفار كمال الرفعة والظهور والفخار، ثم عاد لغزة في عام 1294 من الهجرة الموافق لعام 1877 رومية، وكانت الشدائد لا تزيده إلا إقدامًا، وجرأةً، وثباتًا، ويقينًا، واطلاعًا، وقوة حتى في الشعور والشعر.

وفاته:

كانت وفاته رحمه الله تعالى يوم الجمعة السادس من ذي القعدة عام 1295 للهجرة الموافق 1878/11/1 رومي، وقد جاوز السبعين، ودفن بأعلى تربة باب البحر القديمة المقابلة لمدفن الشيخ شعبان أبي القرون، وكتبت على ضريحه:

إِنَّ هَـــــذَا قَبْـــــرُ المصْـــــطَفَى مُحْيِـــيِّ دِيْـــنِ اللهِ مُفْـــتِي العَصْـــرِ أَحْمَـــدُ

إِنَّ هَـــذَا القَبْـــرَ قَـــدْ ضَـــمَّ العُـــلَا وَالتُّقَـــى وَالزُّهْـــدَ وَالفَضْـــلَ المسَـــدَد

رحم الله الإمام وألحقنا به، ونفعنا بعلومه في الدارين وجعلنا من السائرين على دربه المستنيرين بهديه، اللهم آمين.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

بلادنا فلسطين

لواء غزة

تبلغ مساحة قضاء غزة 1111,5 كم مربع، وقدر عدد سكانه في 1945/4/1 بنحو 137,180 نسمة، يوزعون كالتالي: 133,040 من المسلمين، و1250 من المسيحيين، وقد خسر العرب من هذا القضاء المجدل و45 قرية و530 بدويًا، وقد نجت من شر اليهود المدن التالية: مدينة غزة التي بلغت مساحتها في نفس التاريخ 10,072 دونمًا يقطنها 34,170 عربيًا، وقد اشتهرت مدينة غزة بصناعة الأدوات الخزفية، وصناعة البُسط والعباءات المصنوعة من وبر الجمال والماعز، ولمَّا هاجر أهل المجدل إلى غزة نقلوا معهم صناعة نسيج الأقمشة، وفي نهاية عام 1959 بلغ عدد سكان غزة 98,973 نسمة أي بنسبة 28% من مجموع سكان القطاع، وقد قاست غزة الأهوال بعد نكبة 1948: ففي 14 أغسطس 1954 قام اليهود بنسف محطة مياهها، وفي 28 شباط 1955 أعادوا هجومهم على المحطة المذكورة وعلى معسكر الجيش المصري المرابط بجوارها، وقد ذهب ضحية هذا الهجوم الغادر عدد كبير من الجنود والمدنيين، وكان هذا العدوان نقطة تحول هامة في تاريخ العرب المعاصر حيث أدى إلى قيام ثورة الأحرار بمصر إلى شراء صفقات ضخمة من الأسلحة التشيكية والروسية، بعد أن كانت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وغيرها من دول الغرب تمنع العرب من الحصول على الأسلحة من دول الكتلة الشرقية حتى تبقى السيطرة العسكرية لقاعدتهم "اسرائيل"، وفي 5 نيسان 1956 قامت المدفعية الاسرائيلية بقصف وسط غزة الآهلة بالسكان والعائدين، كما قصفت قرى دير البلح وعبسان وخُزاعة فكانت الخسائر الناتجة عن هذه الاعتداءات من المدنيين 60 شهيدًا و 93 جريحًا، وفي 15 نيسان 1956 أطلق اليهود نيران مدافعهم على مستشفى غزة، وقتلوا 62 شهيدًا و82 جريحًا.

ومن مدن هذا القضاء مدينة خانيونس: وهي مدينة تعلو عن سطح البحر التي تبعد عنه مسافة أربعة كيلو مترات 45 مترًا، وبلغ عدد سكانها في تاريخ 1945/4/1: 11,220 نسمة عرب مسلمون بينهم 40 مسيحيًا، وفي 1946/12/31 قدروا بـ 12,350 عربيًا، وفي نهاية عام 1959 بلغوا 40,204 نسمة، ومساحتها 2302 من الدونمات ومساحة أراضيها 53,820 دونمًا، وخانيونس بمعنى "فندق يونس" حيث دعيت بذلك إلى مؤسسها (يونس النوروزي الدوادار) من كبار موظفي السلطان برقوق أول وأشهر المماليك الشركسية، وكان تاريخ تأسيس هذه البلدة في عام 789 من الهجرة، كما تذكر ذلك النقوش المكتوبة على

قلعتها؛ لحماية التجار والحجاج والمسافرين، ومن الحوادث التي جرت في مدينة خانيونس بعد النكبة هجوم اليهود عليها بدباباتهم وقنابلهم وأسلحتهم الاوتوماتيكية مساء 1955/08/31، وبرغم الفارق في العدد والسلاح فقد صمدت قوات الحرس الوطني الفلسطيني، وأبدت من البسالة ما لم يجد معها العدو وسيلة للقضاء على مقاومتهم إلا أن تقدمت فئة من جنوده مستترة بنيران زملائها ودخان القنابل فبثت الألغام في جدران مركز الشرطة فهدمته على من فيه، كما تصدع مستشفى الرحمة القريب من المركز على مرضاه على أثرها، ومن القرى التي نجت من شر اليهود – قاتلهم الله–: جباليا وبني سهيلة وبيت حانون وعبسان ورفح وبيت لاهيا والنزلة وخزاعة ودير البلح.

أسماء مدن وقرى قضاء غزة:

مدينة المجدل: تبلغ مساحتها 1346 دونمًا، ومساحة أراضيها 42,334 دونمًا، ومن مشاهدها جامعها الكبير الذي بني عام 700 هـ، وعرفت بأنها من أهم الأماكن الصناعية في البلاد، ففيها مئات من الأنوال؛ للحياكة ونسيج أنواع شتى من الأقمشة الحريرية والقطنية وجميع هذه المنتوجات كانت تباع في أسواق فلسطين، منها ما هو خاص بالقرويين، ومنها ما هو مشترك بينهم وبين أهل المدن.

قرية أسدود: تقع للشمال من غزة وعلى مسيرة 40 كم منها، مساحتها 131 دونمًا، ومساحة أراضيها 47,871 دونمًا، ومن مشاهدها قبر الصحابي عبد الله بن سعد بن أبي السَّرح ، وكان ضمن مسجد بني في عهد الظاهر بيبرس عام 667 هـ، وبجواره ضريح لولي الله عبد الله ابراهيم بن علي المتبولي الأنصاري المتوفى عام 877 هـ بعد أن عاش 80 عامًا.

قرية بَرْبَرَا: تبلغ مساحتها 70 دونمًا، ومساحة أراضيها 13,978 دونمًا ملك لأهلها، ومن مشاهدها مسجدها الذي جُدد بناؤه في عهد السلطان مراد الثالث العثماني المتوفى عام 1003 هـ /1596 رومي، وفي صحنه قبر الزاهد التقي الشيخ يوسف البربراوي من رجال القرن الثامن الهجري.

قرية برقة: تبلغ مساحتها 26 دونمًا.

قرية بُرَير: تقع على مسيرة 21 كيلو مترًا للشمال الشرقي من غزة، ومساحتها 130 دونمًا، ومساحة أراضيها 64,184 دونمًا.

قرية بِعْلِين: تقع في أقصى الشمال الشرقي من القضاء وعلى الحدود الفاصلة بينه وبين قضاء الخليل، أي بين انتهاء الجبال وابتداء السهول، تبعد عن غزة بنحو 52 كم، مساحتها 6 دونمات.

قرية بَطانِي شرقي: تبلغ مساحتها 32 دونمًا.

قرية بَطانِي غربي: تبلغ مساحتها 34 دونمًا، ومساحة أراضيها 5,764 دونمًا، والشرقية والغربية في ظاهر اسدود.

قرية بيت جِرْجَا: تبلغ مساحة أراضيها 8481 دونمًا، ينسب إليها أبو الفضل العباس بن محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني الجرجي من رواة الحديث، كان حافظًا ثَبْتًا يعرف باسم محدث فلسطين توفي عام 310هـ.

قرية بيت داراس: ثالثة قرى القضاء المغتصبة سكانًا، وتبلغ مساحتها 88 دونمًا.

قرية بيت طيما: تبلغ مساحتها 60 دونمًا.

قرية بيت عَفَّا: تقع على مسافة نحو 38 كم من غزة، ومساحتها 26 دونمًا.

قرية تل الترمس: تبلغ مساحتها 35 دونمًا، ومساحة أراضيها 11,508 دونمات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

عدد خاص

وظيفة شهر المحرم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ،،،

مما لا شك فيه ولا ريب أن شهر الله المحرم يشتمل على كثير من اللطائف والعديد من الوظائف ولا يخلو من النفحات الإلهية التي لا بد لكل كَيِّس فَطِن أن يتعرض لها، وخير ما يتقرب به العبد في هذا الشهر الفضيل هو الصيام لما جاء عن النبي العدنان سلام الله وصلاته عليه فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عيه وآله وسلم قال: ﴿ أفضل الصيام بعد شهر رمضان، شهر الله الذي تدعونه المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل ﴾، فهذا الحديث صريح في أن أفضل ما تطوع به من الصيام بعد رمضان صوم شهر الله المحرم، وقد يحتمل أن يراد: أنه أفضل شهر تطوع بصيامه كاملا بعد رمضان، فأما بعض التطوع ببعض شهر فقد يكون أفضل من بعض أيامه كصيام يوم عرفة أو عشر ذي الحجة أو ستة أيام من شوال ونحو ذلك.

وأفضل صيام الأشهر الحُرُم صيام شهر الله المحرم، ويشهد لهذا أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال في هذا الحديث: ﴿ وأفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل ﴾ ومراده بعد المكتوبة: ولواحقها من سننها الرواتب، فإن الرواتب قبل الفرائض وبعدها أفضل من قيام الليل عند جمهور العلماء، لالتحاقها بالفرائض، وإنما خالف في ذلك بعض الشافعية، فكذلك الصيام قبل رمضان وبعده ملتحق برمضان وصيامه أفضل من صيام الأشهر الحرم، وأفضل التطوع المطلق بالصيام صيام المحرم.

وقد اختلف العلماء في أي الأشهر الحرم أفضل؟ فقال الحسن وغيره أفضلها شهر الله المحرم، ورجحه طائفة من المتأخرين. وروى وهب بن جرير عن قرة بن خالد عن الحسن قال: إن الله افتتح السنة بشهر حرام، وختمها بشهر حرام، فليس شهر في السنة بعد شهر رمضان أعظم عند الله من المحرم. وكان يسمى شهر الله الأصم من شدة تحريمه، فقد أخرج النسائي من حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أي الليل خير وأي الأشهر أفضل ؟ فقال: ﴿ خير الليل جوفه وأفضل الأشهر شهر الله الذي تدعونه المحرم ﴾. وإطلاقه في هذا الحديث أفضل الأشهر محمول على ما بعد رمضان، والله أعلم.

وأفضل شهر الله المحرم عشره الأول، وقيل: إنها العشر الذي أتمَّ الله به ميقات موسى عليه السلام أربعين ليلة، وإن التكلم وقع في عاشره. ورُوِيَ عن وهب بن منبه قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن مُرْ قومك أن يتوبوا إلي في أول عشر المحرم، فإذا كان يوم العاشر فليخرجوا إليَّ أغفر لهم، وعن قتادة أن الفجر الذي أقسم الله به في أول سورة الفجر هو فجر أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة.

ولما كانت الأشهر الحرم أفضل الأشهر بعد رمضان أو مطلقا، وكان صيامها كلها مندوبا إليه، كما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان بعضها ختام السنة الهلالية، وبعضها مفتاحا لها، فمن صام شهر ذي الحجة سوى الأيام المحرم صيامها منه وصام المحرم فقد ختم السنة بالطاعة وافتتحها بالطاعة، فيرجى أن تكتب له سنته كلها طاعة، فإن من كان أول عمله طاعة وآخره طاعة، فهو في حكم من استغرق بالطاعة ما بين العملين. وفي حديث مرفوع: ﴿ ما من حافظين يرفعان إلى الله صحيفة فيرى في أولها وفي آخرها خيرا إلا قال الله لملائكته أشهدكم أني غفرت لعبدي ما بين طرفيها ﴾(خرجه الطبراني وغيره)، وقال ابن مبارك: من ختم نهاره بذكر،كتب نهاره كله ذكرا. يشير إلى أن الأعمال بالخواتيم، فإذا كان البداءة والختام ذكرا فهو أولى أن يكون حكم الذكر شاملا للجميع، ويتعين افتتاح العام بتوبة نصوح تمحو ما سلف من الذنوب السالفة في الأيام الخالية.

قطعت شهور العام لهوا وغفلة ... ولم تحترم فيما أتيت المحرما

فلا رجبا وافيت فيه بحقه ... ولا صمت شهر الصوم صوما

ولا في ليالي عشر ذي الحجة ... مضى كنت قواما ولا كنت محرما

فهل لك أن تمحو الذنوب بعبرة ... وتبكي عليها حسرة وتندما

وتستقبل العام الجديد بتوبة ... لعلك أن تمحو بها ما تقدما

وقد سمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم المحرم شهر الله، وإضافته إلى الله تدل على شرفه وفضله، فإن الله تعالى لا يضيف إليه إلا خواص مخلوقاته، كما نسب محمدا وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء صلوات الله عليهم إلى عبوديته، ونسب إليه بيته وناقته. ولما كان هذا الشهر مختصاً بإضافته إلى الله تعالى، وكان الصيام من بين الأعمال مضافا إلى الله تعالى، فإنه له من بين الأعمال ناسب أن يختص هذا الشهر المضاف إلى الله بالعمل المضاف إليه المختص به وهو الصيام. وقد قيل في معنى إضافة هذا الشهر إلى الله عز وجل: إنه إشارة إلى أن تحريمه إلى الله عز وجل ليس لأحد تبديله، كما كانت الجاهلية يحلونه ويحرمون مكانه صفرا، فأشار إلى شهر الله الذي حرمه فليس لأحد من خلقه تبديل ذلك وتغييره:

شهــر الحــرام مبــارك ميمــون والصــوم فيه مضاعــف مسنــون
وثواب صائمــه لوجــه إلهــه في الخلــد عنــد مليكــه مخــزون

وقد دل حديث أبي هريرة رضي الله عنه هذا على أن قيام الليل أفضل الصلاة بعد المكتوبة، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية".(أخرجه الطبراني عنه مرفوعا، والمحفوظ وقفه). وقال عمرو بن العاص: "ركعة بالليل خير من عشر بالنهار"(خرجه ابن أبي الدنيا). وإنما فضلت صلاة الليل على صلاة النهار لأنها أبلغ في الإسرار وأقرب إلى الإخلاص.

يوم عاشوراء:

رُوِيَ في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عن يوم عاشوراء، فقال: ﴿ ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صام يوما يتحرى فضله على الأيام إلا هذا اليوم – يعني يوم عاشوراء– وهذا الشهر – يعني رمضان– ﴾، فيوم عاشوراء له فضيلة عظيمة، وحرمة قديمة، وصومه لفضله كان معروفا بين الأنبياء عليهم السلام، وقد صامه نوح وموسى عليهما السلام كما سنذكره إن شاء الله تعالى، وروي عن إبراهيم الهجري، عن أبي عياض عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ يوم عاشوراء كانت تصومه الأنبياء فصوموه أنتم ﴾(أخرجه بقي بن مخلد في مسنده). وقد كان أهل الكتاب يصومونه وكذلك قريش في الجاهلية كانت تصومه، قال دلهم بن صالح: قلت لعكرمة: عاشوراء ما أمره ؟ قال: أذنبت قريش في الجاهلية ذنبا فتعاظم في صدورهم، فسألوا ما توبتهم؟ قيل: صوم عاشوراء يوم العاشر من المحرم.

وكان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في صيامه أربع حالات:

الحالة الأولى: أنه كان يصومه بمكة ولا يأمر الناس بالصوم، ففي الصحيحين عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: ﴿ كان عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما نزلت فريضة شهر رمضان كان رمضان هو الذي يصومه، فترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء أفطره ﴾ وفي رواية للبخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من شاء فليصمه ومن شاء أفطر ﴾.

الحالة الثانية: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قدم المدينة ورأى صيام أهل الكتاب له، وتعظيمهم له فسأل عن ذلك فأخبروه أنه يوم أنجى الله تعالى سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام من الغرق، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ ما هذا اليوم الذي

تصومونه؟» قالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا فنحن نصومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر بصيامه» وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأناس من اليهود قد صاموا عاشوراء فقال: «ما هذا من الصوم؟!» قالوا: هذا اليوم الذي نجى الله عز وجل موسى عليه السلام وبني إسرائيل من الغرق، وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي، فصام نوح وموسى عليهما السلام شكرا لله عز وجل، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم، فأمر أصحابه بالصوم» .وفي الصحيحين عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر رجلا من أسلم: أن أذن في الناس: «من أكل فليصم بقية يومه، ومن لم يكن أكل فليصم، فإن اليوم يوم عاشوراء»، وفيهما أيضا عن الربيع بنت معوذ قالت: أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: «من كان أصبح صائما فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرا فليتم بقية يومه، فكنا بعد ذلك نصومه، ونصوّم صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياها، حتى يكون عند الإفطار». وفي رواية: «فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة نلهيهم حتى يتموا صومهم»، وفي الباب أحاديث كثيرة جدا.

وقد اختلف العلماء رضي الله عنهم هل كان صوم يوم عاشوراء قبل فرض شهر رمضان واجبا أم كان سنة متأكدة ؟ على قولين مشهورين، ومذهب أبي حنيفة: أنه كان واجبا حينئذ، وهو ظاهر كلام الإمام أحمد، وأبي بكر الأثرم. وقال الشافعي رحمه الله بل كان متأكد الاستحباب فقط وهو قول كثير من أصحابنا – أي الحنابلة– وغيرهم.

الحالة الثالثة: أنه لما فرض صيام شهر رمضان ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر الصحابة بصيام يوم عاشوراء وتأكيده فيه، ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «صام النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاشوراء وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك ذلك». وكان عبد الله لا يصومه إلا أن يوافق صومه، وفي رواية لمسلم: إن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صامه والمسلمون قبل أن يفرض رمضان، فلما فرض رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن عاشوراء يوم من أيام الله، فمن شاء صامه ومن شاء تركه» وفي رواية له أيضا: «فمن أحب منكم أن يومه فليصمه، ومن كره فليدعه»، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يجدد أمر الناس بصيامه بعد فرض صيام شهر رمضان، بل تركهم على ما كانوا عليه من غير نهي عن صيامه، فإن كان أمره صلى الله

عليه وآله وسلم بصيامه قبل فرض صيام شهر رمضان للوجوب، فإنه ينبني على أن الوجوب إذا نسخ فهل يبقى الاستحباب أم لا؟ وفيه اختلاف مشهور بين العلماء رضي الله عنهم، وإن كان أمره للاستحباب المؤكد. فقد قيل: إنه زال التأكيد وبقي أصل الاستحباب، ولهذا قال قيس بن سعد: ونحن نفعله، وأكثر العلماء على استحباب صيامه من غير تأكيد.

وممن روي عنه صيامه من الصحابة عمر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وأبو موسى وقيس بن سعد وابن عباس وغيرهم، ويدل على بقاء استحبابه قول ابن عباس رضي الله عنهما: لم أر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصوم يوما يتحرى فضله على الأيام إلا يوم عاشوراء وشهر رمضان. وابن عباس إنما صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بآخرة وإنما عقل منه صلى الله عليه وآله وسلم من آخر أمره، وفي صحيح مسلم عن أبي قتادة أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن صيام عاشوراء ؟ فقال: ﴿ أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله ﴾، وإنما سأله عن التطوع بصيامه، فإنه سأله أيضا عن صيام يوم عرفة وصيام الدهر، وصيام يوم وفطر يوم، وصيام يوم، وفطر يومين ، فعلم أنه إنما سأله عن صيام التطوع. وأخرج الإمام أحمد والنسائي من حديث أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها: ﴿ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يدع صيام يوم عاشوراء، والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر ﴾.

الحالة الرابعة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عزم في آخر عمره على أن لا يصومه مفردا بل يضم إليه يوما آخر مخالفة لأهل الكتاب في صيامه. ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حين صام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله! إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع ﴾، قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وفي رواية له أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع مع العاشر ﴾ يعني عاشوراء.

وقد صح هذا عن ابن عباس من قوله من رواية ابن جريج قال: أخبرنا عطاء أنه سمع ابن عباس يقول في يوم عاشوراء: خالفوا اليهود صوموا التاسع والعاشر. قال الإمام أحمد: أنا أذهب إليه. وروي عن ابن عباس: أنه صام التاسع والعاشر، وعلل بخشية فوات عاشوراء. وروى ابن أبي ذئب عن شعبة مولى ابن عباس، عن ابن عباس: أنه كان يصوم عاشوراء في السفر ويوالي بين اليومين خشية فواته. وكذلك روي عن أبي إسحاق أنه صام يوم عاشوراء ويوما قبله ويوما بعده وقال: إنما فعلت ذلك خشية أن يفوتني. وروي عن ابن سيرين أنه

كان يصوم ثلاثة أيام عند الاختلاف في هلال الشهر احتياطا، وممن رأى صيام التاسع والعاشر: الإمام الشافعي رضي الله عنه وأحمد وإسحاق وكره أبو حنيفة إفراد العاشر بالصوم.

ذكر صيام الوحش والهوام في عاشوراء:

ومن أعجب ما ورد في عاشوراء أنه كان يصوم الوحش والهوام، وقد روي مرفوعا: "أن الصرد أول طير صام عاشوراء" (أخرجه الخطيب في تاريخه، وإسناده غريب). وقد روى ذلك عن أبي هريرة، وروي عن فتح بن شخرف قال: كنت أفت للنمل الخبز كل يوم، فلما كان عاشوراء لم يأكلوه، وروي عن القادر بالله الخليفة العباسي أنه جرى له مثل ذلك، وأنه عجب منه فسأل أبا الحسن القزويني الزاهد فذكر له أن يوم عاشوراء تصومه النمل. وروى أبو موسى المديني بإسناده عن قيس بن عباد قال: بلغني أن الوحش كانت تصوم عاشوراء. وبإسناد له عن رجل أتى البادية يوم عاشوراء فرأى قوما يذبحون ذبائح فسألهم عن ذلك فأخبروه أن الوحوش صائمة وقالوا: اذهب بنا نرك فذهبوا به إلى روضة فأوقفوه قال: فلما كان بعد العصر، جاءت الوحوش من كل وجه فأحاطت بالروضة رافعة رؤوسها إلى السماء ليس شيء منها يأكل حتى إذا غابت الشمس أسرعت جميعا فأكلت.

استحباب التوسعة على العيال في عاشوراء:

وأما التوسعة فيه على العيال فقال ابن منصور: قلت لأحمد: هل سمعت في الحديث: ﴿من وسع على أهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر السنة﴾ فقال: نعم رواه سفيان بن عيينة عن جعفر الأحمر عن إبراهيم بن محمد عن المنتشر وكان من أفضل أهل زمانه أنه بلغه: أنه من وسع على عياله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر سنته. قال ابن عيينة: جربناه منذ خمسين سنة أو ستين سنة فما رأينا إلا خيرا.

وما أجمل ما نقله الإمام السيوطي عن صاحب المغرب عن الإمام عبد الملك ابن حبيب المالكي قال:

لا تنسَ لا يُنسِكَ الرَّحمنُ عاشُورَا ... واذكُرهُ لا زلْتَ في الأخيَارِ مَذكُورَا

قَالَ الرَّسُولُ صَلاةُ اللهِ تشمُلُهُ ... قَولاً وجدنَا عليهِ الحقَّ والنُّورَا

مَن باتَ في ليلِ عاشُوراءَ ذَا سَعَةٍ ... يكُنْ في عيشِهِ في الحولِ محبُورَا

فارغَبْ فَديْتُكَ في مَا فيهِ رغَّبَنَا ... خيرُ الوَرَى كلِّهِمْ حيًّا ومقبُورَا

وأما اتخاذ هذا اليوم المبارك مأتمًا كما تفعله الرافضة لأجل استشهاد مولانا الإمام الحسين بن علي عليهما السلام فيه فباطل لا أصل له، إذ لم يأمر المولى تعالى ولا سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باتخاذ أيام مصائب أسيادنا الأنبياء وموتهم مأتمًا، فكيف بمن كان دونهم.

ينفطر القلب حزنًا على ما حلّ بمولانا الإمام الحسين وآل بيته عليهم جميعًا السلام في وقعة كربلاء، تلك الوقعة التي اهتزت لها كل أركان الدنيا فزعًا مما حلّ بأطهر خلق الله تعالى في ذلك الزمان، ولكن إن اجتمعت الفرحة والأحزان، فالحق أن نفعل كما كان يفعل أسيادنا آل البيت عليهم السلام، إن كنا حقًّا من أهل الصدق والعرفان، فلم يكن أحد منهم عليهم السلام يجعل من عاشوراء مأتمًا، بل كان يصومه شكرًا ويوسع على عياله وأحبابه والمسلمين كرمًا، فرحًا بنعمة الله على عباده وعملاً بمقتضى شرع جده صلى الله عليه وآله وسلم، أما حزنه فواجبٌ حقيق، إلا أن إظهاره للناس في يوم شرعت فيه فرحتهم ليس من سمة أهل الكمال، وهم أهل الكمال في كل حين وفي كل آن، وإن ما يروجه البعض من أن الفرحة في عاشوراء فرحة بمقتل مولانا الإمام الحسين عليه السلام ضلال ومروق من الدين، إذ إن من يفرح بمقتل الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام ليس بمسلم باتفاق، وإن صوم عاشوراء والفرح فيه مشروع قبل طروّ استشهاده الذي يعدُّ أكبر منغّص طرأ على المسلمين في هذا اليوم المبارك، كما أنه عليه السلام لم يكن يترك صومه وإظهار الفرحة فيه شكرًا على جميل النعم، حتى إنه قضى شهيدًا كريمًا وهو على تلك الحال صائمًا شاكرًا.

إن محبة أولئك السادة الأطهار عليهم السلام أجلُّ من أن توصف، محبة أوجبها لهم المولى سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، وأوصى بها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل حين، يقول المولى تعالى: ﴿ قُل لا أسأَلُكُم عليهِ أجرًا إلا المودَّةَ في القُربَى ﴾(الشورى من الآية 23)، قال سيدنا سعيد بن جبير: "قُربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"، وفي الحديث عند مسلم والترمذي وغيرهما قال صلى الله عليه وآله وسلم: « أذكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بيتِي »، وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: « إنِّي تاركٌ فيكُم مَا إن تمسَّكتُم به لن تضِلُّوا بعدِي: كتابَ اللهِ وعِتْرَتِي أهلَ بيتي ولَن يتفرَّقَا حتَّى يرِدَا علَيَّ الحوض، فانظُرُوا كيفَ تخلُفُوني فيهِمَا » (رواه الترمذي وغيره) والحديث متواتر، والأحاديث في هذا المقام أكثر من أن تحصر، لكنَّ خلط الأمور ببعضها، ودعوى الاعتراض والإنكار على الفرح في هذا اليوم لأجل ما وقع فيه من المصيبة لهو من أعظم الأمور وأشدها خطرًا، فإننا في هذا اليوم المبارك نفرح بنعمة الله تعالى التي أمرنا بإظهار شكرها، والقلب مع ذلك محزون مفطور لما حلَّ من عظيم وأليم المصيبة، إلا أنه لو شرعت إقامة المآتم والأحزان لكان أولى الناس بها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن لم نؤمر بذلك، فليتبصَّر هذا كل عاقل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

عدد خاص

جني الباكورة بحديث مسلسل عاشورا

الحمد لله الخبير البصير، والصلاة والسلام على البشير النذير، وعلى آله وصحبه الميامين النحارير، وعلى من سار على هديهم إلى يوم الدين.

أما بعد ،،،

فاعلم أنه ما من موسم إلا وفيه لله تعالى لطيفة يصيب بها من يشاء بفضله ورحمته، وإن السعيد من وفقه الله تعالى فيها لحسن طاعته وأكرمه بجميل قربته، يقول سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إنَّ لله في أيَّام الدَّهر نفحاتٍ فتعرَّضوا لها، فلعَلَّ أحدَكُم تصيبُه نفحةٌ فلا يشقَى بعدَها أبدًا ﴾(رواه الطبراني).

وإن من هذه المواسم المباركة التي نتعرض لها هذه الأيام، يوم عاشوراء، وهو يوم كريم ذو فضيلة وحرمة عظيمتين، فيه كانت نجاة سيدنا نوح وسيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام، وفيه وقعت أحداث جسام وأكرمنا المولى تعالى بمنن عظام.

ومما يشرع في هذا اليوم الفضيل من الطاعات طاعة الصيام، فإن صومه سنة مؤكدة عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففي الحديث عند الإمام مسلم عن سيدنا أبي قتادة أن رجلاً سأل سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صيام عاشوراء فقال: ﴿ أحتسِبُ على اللهِ أن يُكَفِّرَ السَّنَةَ التي قبلَه ﴾، وعند الإمام أحمد والنسائي وأبي داود من حديث السيدة حفصة بنت عمر أم المؤمنين عليها وعلى أبيها السلام: ﴿ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكُن يدعُ صيامَ يوم عاشوراء والعشر –أي من ذي الحجة– وثلاثةَ أيام من كلِّ شهر ﴾، وقد كان لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صوم عاشوراء أربع حالات، ذكرها الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في كتابه (اللطائف) وهي:

الأولى: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصومه بمكة ولا يأمر الناس بالصوم، ففي الصحيحين عن السيدة عائشة عليها وعلى أبيها السلام قالت: "كان عاشوراء يومًا تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصومه، فلما قَدِم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلمَّا نزلت فريضة شهر رمضان كان رمضان

هو الذي يصومه فترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء أفطره"، وفي رواية للبخاري: "وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من شَاءَ فليصُمْه ومن شاءَ أفطَر ﴾.

الثانية: أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما قَدِم المدينة ورأى صيام أهل الكتاب وتعظيمهم له صامه وأمر الناس بصيامه، وأكد الأمر بصيامه والحث عليه، ففي الصحيحين عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: "قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ مَا هَذَا اليومُ الذِي تصُومونَه ﴾، قالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا، فنحن نصومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ فنحنُ أحقُّ وأولى بموسَى منكُم ﴾، فصامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر بصيامه"، وفي مسند الإمام أحمد عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: "مرَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأناس من اليهود قد صاموا عاشوراء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ مَا هَذَا من الصَّوم ﴾، قالوا: هذا اليوم الذي نجَّى الله عزَّ وجلَّ موسى عليه السلام وبني إسرائيل من الغرق، وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجوديّ، فصامه نوح وموسى عليهما السلام شكرًا لله عزَّ وجلَّ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ أنا أحقُّ بموسَى وأحقُّ بصوم هذا اليوم ﴾، فأمر أصحابه بالصوم"، وفي الباب أحاديث كثيرة جدًّا.

وقد اختلف العلماء رضوان الله تعالى عليهم في صوم عاشوراء، هل كان مفروضًا قبل فرض رمضان أم كان سنة متأكدة، والحقُّ أن صومه كان واجبًا، وهو ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله ورضي الله عنه وأرضاه، وخالفه فيه آخرون.

الثالثة: أنه لما فرض صيام شهر رمضان ترك سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بصيام عاشوراء كفرض واجب، وبقي في حقهم سنة متأكدة، وذلك لما سبق من حديث السيدة عائشة عليها وعلى أبيها السلام، ولما في الصحيحين من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: ﴿ صَامَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عاشوراءَ وأمرَ بصيامه، فلَمَّا فُرضَ رمضانُ ترك ذلك ﴾، وفي رواية لمسلم: "أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صامه والمسلمون قبل أن يُفرضَ رمضان، فلما فُرضَ رمضانُ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إنَّ عاشوراءَ يومٌ من أيَّام الله، فمَن شاءَ صامَهُ ومن شاءَ ترَكَه ﴾".

الرابعة: أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عزم في آخر حياته الشريفة على أن لا يصومه منفردًا، بل يضم إليه يومًا آخر مخالفة لأهل الكتاب في صيامه، ففي صحيح مسلم عن سيدنا ابن عباس

رضي الله تعالى عنهما أنه قال: "حين صام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ فَإذا كانَ العامُ المقبلُ إن شاء الله صُمنَا اليومَ التَّاسع ﴾، قال: فلم يأت العام المقبل حتى تُوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي رواية له أيضًا عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لَئن بقِيتُ إلى قَابلٍ لأصُومَنَّ التاسعَ معَ العَاشر ﴾ يعني عاشوراء، وخرَّجه الطبراني ولفظه: ﴿ إن عِشتُ إلى قابلٍ صُمْتُ التاسع مخافةَ أن يفوتَني عاشوراء ﴾، وعند الإمام أحمد عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ صُومُوا يوم عاشوراء وخالِفُوا اليهود، صومُوا قبلَه يومًا وبعدَه يومًا ﴾، وجاء في رواية ﴿ أو بعدَه ﴾، وروي هذا الحديث بلفظ آخر وهو ﴿ لئن بقِيتُ لآمُرَنَّ بصيام يوم قبلَه ويوم بعدَه ﴾، وروى ابن أبي ذئب عن شعبة مولى سيدنا ابن عباس عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: "أنه كان يصوم عاشوراء في السَّفر ويوالي بين اليومين خشية فواته"، وكذلك روي عن أبي إسحاق: "أنه صام يوم عاشوراء ويومًا قبله ويومًا بعده، وقال: إنما فعلتُ ذلك خشية أن يفوتني"، وروي عن ابن سيرين كذلك: "أنه كان يصوم ثلاثة أيام عند الاختلاف في هلال الشهر احتياطًا".

ولعلَّ من أعجب ما روي في عاشوراء أن الوحوش كانت تصومه والهوام، فقد روي مرفوعًا ﴿ أن الصُّرَد – طائر أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار– أوَّلُ طير صامَ عاشوراء ﴾(خرَّجه الخطيب في تاريخه)، وقد روي ذلك عن سيدنا أبي هريرة وسيدنا فتح بن شخرف رضي الله تعالى عنهما قال: "كنتُ أفُتُّ للنَّمل الخبز كلَّ يوم، فلمَّا كانَ يومُ عاشوراء لم يأكلُوه".

وخلاصة الأمر أن صوم هذا اليوم المبارك له أجر عظيم عند المولى سبحانه وتعالى، وإن صيامه سنة متأكدة عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويستحب لنا صيام يوم قبله وبعده تحرِّيًا له، ومخالفة لليهود والنصارى، عملاً بمقتضى أمره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم، واقتداء بفعل أسيادنا الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من بعده.

كذلك يستحب في هذا اليوم المبارك التوسعة على العيال والأهل والأقارب والأصحاب في المأكل والمشرب والملبس وغيرها ما أمكن، وذلك مصداقًا لما رواه سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿ مَن وسَّع على عياله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه في سائر سنته ﴾، قال سيدنا جابر رضي الله تعالى عنه: "جرَّبناه فوجدناه كذلك"، قلتُ: وقال كل واحد من

أشياخي رحمهم الله تعالى: "ونحن جرَّبناه فوجدناه كذلك بعد التجراب"، وأقول أنا العبد الفقير: ما زلتُ أرى آثار بركة العمل بهذا الحديث كلَّ سنة، نسأل الله تعالى دوام النِّعمة وزوال النِّقمة، إنه سميعٌ مجيب.

قال سيدي أحمد بن الصديق رحمه الله تعالى في (**هداية الصُّغراء بجواز التوسعة على العيال في يوم عاشوراء**): "والحديث صحيح على شرط مسلم، وأخرجه ابن عبد البر في (الاستذكار)، والبيهقي في (شعب الإيمان)، وإسحاق بن راهويه في (مسنده) من طريق أبي سعيد الخدري، وابن عدي في (الضعفاء والمتروكين) من طريق أبي هريرة، والطبراني من طريق عبد الله بن مسعود، والخطيب البغدادي في (الرواة عن مالك) من طريق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ورواه الحكيم الترمذي في (نوادر الأصول)، والسمرقندي في (تنبيه الغافلين)، والبيهقي في (السنن) من مرسل إبراهيم بن المنتشر، ورواه ابن عبد البر أيضًا من طريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقوفًا عليه من رواية سعيد بن المسيب، وهو قد رأى عمر وسمع منه لكنه كان صغيرًا ومع ذلك كان أحفظ الناس لقضايا عمر وأحاديثه حتى كان يسمى راوية عمر، فهذه عدَّة أسانيد صحاح لهذا الخبر منها ما هو مرفوع، ومنها ما هو مسند، ومرسل، وضعيف، وموقوف له حكم الرفع، ومنها ما هو حسن، فالحديث مشهور بناءً على ما تقتضيه قواعد علم المصطلح، وأقوى من كثير من الأحاديث المخرَّجة في الصحيحين جزمًا"ا.هـ.

ونقل ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى المتوفى عام 795 هجري في كتابه (**لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**) قال: "قال ابن منصور: قلت لأحمد: هل سمعت في الحديث ﴿ من وسَّع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة ﴾ فقال: نعم، رواه سفيان بن عيينة عن جعفر الأحمر عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر وكان من أفضل أهل زمانه، أنه بلغه أنه من وسَّع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته، فقال ابن عيينة: جرَّبناه منذ خمسين سنة أو ستين سنة فما رأينا إلا خيرًا".

وما أجمل ما نقله الإمام السيوطي عن صاحب المغرب عن الإمام عبد الملك ابن حبيب المالكي قال:

لا تنسَ لا يُنسِكَ الرَّحمنُ عاشُورَا ... واذكُرهُ لا زلْتَ في الأخيَارِ مَذكُورَا

قَالَ الرَّسُولُ صَلاةُ اللهِ تشمُلُهُ ... قَولاً وجدنَا عليهِ الحقَّ والنُّورَا

مَن باتَ في ليلِ عاشُوراءَ ذَا سَعَةٍ ... يكُنْ في عيشِهِ في الحولِ محبُورَا

فارغَبْ فَديْتُكَ في مَا فيهِ رغَّبَنَا ... خيرُ الوَرَى كلِّهِمْ حيًّا ومقبُورَا

وأما اتخاذ هذا اليوم المبارك مأتمًا كما تفعله الرافضة لأجل استشهاد مولانا الإمام الحسين بن علي عليهما السلام فيه فباطل لا أصل له، إذ لم يأمر المولى تعالى ولا سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باتخاذ أيام مصائب أسيادنا الأنبياء وموتهم مأتمًا، فكيف بمن كان دونهم.

ينفطر القلب حزنًا على ما حلَّ بمولانا الإمام الحسين وآل بيته عليهم جميعًا السلام في وقعة كربلاء، تلك الوقعة التي اهتزت لها كل أركان الدنيا فزعًا مما حلَّ بأطهر خلق الله تعالى في ذلك الزمان، ولكن إن اجتمعت الفرحة والأحزان، فالحق أن نفعل كما كان يفعل أسيادنا آل البيت عليهم السلام، إن كنا حقًّا من أهل الصدق والعرفان، فلم يكن أحد منهم عليهم السلام يجعل من عاشوراء مأتمًا، بل كان يصومه شكرًا ويوسع على عياله وأحبابه والمسلمين كرمًا، فرحًا بنعمة الله على عباده وعملاً بمقتضى شرع جده صلى الله عليه وآله وسلم، أما حزنه فواجبٌ حقيق، إلا أن إظهاره للناس في يوم شرعت فيه فرحتهم ليس من سمة أهل الكمال، وهم أهل الكمال في كل حين وفي كل آن، وإن ما يروجه البعض من أن الفرحة في عاشوراء فرحة بمقتل مولانا الإمام الحسين عليه السلام ضلال ومروق من الدين، إذ إن من يفرح بمقتل الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام ليس بمسلم باتفاق، وإن صوم عاشوراء والفرح فيه مشروع قبل طروّ استشهاده الذي يعدُّ أكبر منغِّص طرأ على المسلمين في هذا اليوم المبارك، كما أنه عليه السلام لم يكن يترك صومه وإظهار الفرحة فيه شكرًا على جميل النعم، حتى إنه قضى شهيدًا كريمًا وهو على تلك الحال صائمًا شاكرًا.

إن محبة أولئك السادة الأطهار عليهم السلام أجلُّ من أن توصف، محبة أوجبها لهم المولى سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، وأوصى بها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل حين، يقول المولى تعالى: ﴿ قُل لا أسألُكُم عليهِ أجرًا إلا المودَّةَ في القُربَى ﴾(الشورى من الآية 23)، قال سيدنا سعيد بن جبير: "قُربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"، وفي الحديث عند مسلم والترمذي وغيرهما قال صلى الله عليه وآله وسلم: « أذكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بيتِي »، وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: « إنِّي تاركٌ فيكُم مَا إن تمسَّكتُم به لن تضِلُّوا بعدِي: كتابَ اللهِ وعِترَتِي أهلَ بيتِي ولَن يتفرَّقَا حتَّى يرِدَا علَيَّ الحوض، فانظُرُوا كيفَ تخلُفُونِي فيهِمَا » (رواه الترمذي وغيره) والحديث متواتر، والأحاديث في هذا المقام أكثر من أن تحصر، لكنَّ خلط الأمور ببعضها، ودعوى الاعتراض والإنكار على الفرح في هذا اليوم لأجل ما وقع فيه من المصيبة لهو من أعظم الأمور وأشدها خطرًا، فإننا في هذا اليوم المبارك نفرح بنعمة الله تعالى التي أمرنا بإظهار شكرها، والقلب مع ذلك محزون مفطور لما حلَّ من عظيم وأليم المصيبة، إلا أنه لو شرعت إقامة المآتم والأحزان لكان أولى الناس بها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن لم نؤمر بذلك، فليتبصَّر هذا كل عاقل.

هذا وقد طلب مني بعض الأحباء أن أجيزهم بمسلسل عاشوراء، فاستخرجته لهم على عَجَل مخافة فوات الأجل، مع أني لستُ من رجال هذا الفنِّ، لكنه تعين الطلب مني، وسميته (**جنيَ الباكورة، بحديثِ مسلسَلِ عاشورا**) راجيًا من الله تعالى الثوابَ وحسنَ المآب، ولستُ قاصدًا من هذا التخريج تِعداد الأشياخ والحساب، إنما قصدتُ الحفاظ على بقاء السند وسهولة التخريج، ومخافة فوات المناسبة.

فأقولُ وقد كساني الخجل، مكرهٌ أخاك لا بطل، أنا العبد الفقير إلى ربِّه أحمد بن منصور بن قرطام: قد حدَّثني شيخي محمَّد الشاذلي النيفر التونسي رحمه الله تعالى في يوم عاشوراء بهذا الحديث، عن والده قاضي الجماعة الشيخ محمد الصادق النيفر التونسي رحمه الله تعالى، عن الشيخ المعمَّر محمد الطيب النيفر التونسي رحمه الله تعالى، عن الشيخ إبراهيم الرياحي التونسي رحمه الله تعالى، عن الشيخ محمَّد الأمير الصَّغير المصريِّ رحمه الله تعالى، حين قابله في طريقه إلى الحجِّ، عن والده الشَّيخ المسند محمَّد الأمير الكبير رحمه الله تعالى في يوم عاشوراء، كما سمعه هو رضي الله تعالى عنه عن شيخه الإمام الكامل، والعالم العامِل، الحافظ ذي الأسانيد العالية سيدي عليّ بن محمَّد العربي السَّقَّاط المالكي الشاذلي المغربي الفاسيِّ الكبير رحمه الله تعالى، وشيخه عمر بن عبد السلام لوكس رحمه الله تعالى، كلاهما عن عالي الإسناد، ومن عليه في اتصال كلِّ سند أقوى اعتماد، الحجة الثبت المسند سيدي محمَّد بن عبد الرحمن المغربي الفاسي صاحب (**المنح البادية في الأسانيد العالية**) رحمه الله تعالى، كما أخذه عن شيخه عبد السلام اللقَّاني رحمه الله تعالى، كما أخذه عن والده إبراهيم اللقاني رحمه الله تعالى[1]، كما أخذه عن الحافظ الحجة المحدِّث أمين الدِّين أبو الجود محمَّد بن أحمد بن عيسى بن النَّجار الغيطي المصري الشافعي إمام جامع الغمري رحمه الله تعالى، عن فخر الدِّين محمَّد بن محمد بن أحمد السيوطي رحمه الله تعالى يومَ عاشوراء، بقراءة الحافظ عثمان الديمي رحمه الله تعالى، عن أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك الغزِّي رحمه الله تعالى، عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجَّار الشهير بابن الشَّحنة رحمه الله تعالى في يوم عاشوراء، عن أبي الحسن عليّ بن إسماعيل بن قريش رحمه الله تعالى في يوم عاشوراء، عن صاحب (**الترغيب والترهيب**) زكي الدين عبد العظيم المنذري رحمه الله تعالى في يوم عاشوراء، عن أبي حفص عمر بن طبرزد رحمه الله تعالى، عن القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري رحمه الله تعالى، قال: أنبأنا أبو محمَّد الحسن بن علي الجوهري رحمه الله تعالى قال: أنبأنا أبو الحسن عليُّ بنُ محمد بنِ أحمد بنِ كيسان رحمه الله تعالى قال: أنا يوسف بن يعقوب القاضي رحمه الله تعالى قال: أنا أبو الربيع رحمه الله تعالى قال: أنا حماد بن زيد رحمه الله تعالى، عن غيلان بن جرير رحمه الله

(1) والسند إلى هنا بمسلسل بالسادة المالكية.

تعالى، عن عبد الله بن معبد الزماني رحمه الله تعالى، عن سيدنا أبي قتادة رضي الله تعالى عنه، أنَّ سيدَنا ومولانا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ عزَّ وجَلَّ أَن يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَه﴾، هذا حديثٌ صحيح رواه الإمام مسلم، والترمذي وابن ماجة والبيهقي في (الشعب)، ولفظه عند الإمام مسلم: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَن يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ عزَّ وجلَّ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَه﴾، ومن فضيلة هذا الحديث اشتماله على مزيد ضبط الرواة وقت التلقي، وخير المسلسلات ما دلَّ على اتصال السَّماع وعدم التلبيس والتدليس كما هو معلوم ومقرر في علم مصطلح الحديث، وكان سماعي لهذا الحديث المسلسل مساءَ يوم الأربعاء على السَّاعة الرابعة مساءً في مسجد باب الأقواس الكائن في المدينة العتيقة من العاصمة التونسية حرسها الله وحماها من كلِّ بليَّة في يوم عاشوراء من شهر الله الحرام للعام 1414 هجري، الموافق 30 يونيو 1993 رومي.

وبناءً على ما تقرَّر أقول أنا العبد الفقير أحمد بن منصور بن قرطام: أجزت/ ....

....

....

موصيًا له ولي بتقوى الله تعالى في الواجبات والمحرَّمات، وفي السرِّ والعلن، وأن لا ينساني وأسيادي ومن علَّمني من صالح دعائه في صلواته وخلواته وجولاته، والعمل بالكتاب والسنة واتباع منهج الأئمة الأعلام، مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة النُّعمان، وترك البدع والأوهام، واجتناب النِّحَل الرَّدِيَّة كالمشبهة والمجسمة والمعطلة والجهمية وغلاة الصوفية، والله ورسوله أعلم.

قاله بلسانه وكتبه ببنانه خادم العلم الشريف العبد الفقير

أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي الشاذلي الفلسطيني الأصل اللبناني المولد

كان الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين بمنِّهِ وكرمه آمين آمين آمين.

المصادر والمراجع

- بدع التفاسير لمولانا الإمام الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله.
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للخضري رحمه الله.
- خطب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، إعداد: إبراهيم شمس الدين.
- جني الباكورة بحديث مسلسل عاشورا لمولانا الإمام أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي حفظه الله.
- لطيف الكلام في أول كل عام ، إعداد: واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم الشرعية.
- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف للإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله.
- أدب الدين والدنيا للإمام أبي الحسن الماوردي رحمه الله.
- المجلة الزيتونية.
- إتحاف الأعزة في تاريخ غزة للشيخ المؤرخ عثمان مصطفى الطَّباع الغزي رحمه الله.
- موسوعة بلادنا فلسطين للمؤرخ مصطفى مراد الدباغ رحمه الله.